مواطن الشعوب الإسلامية
في آسيا

-١-

تركستان الغربية

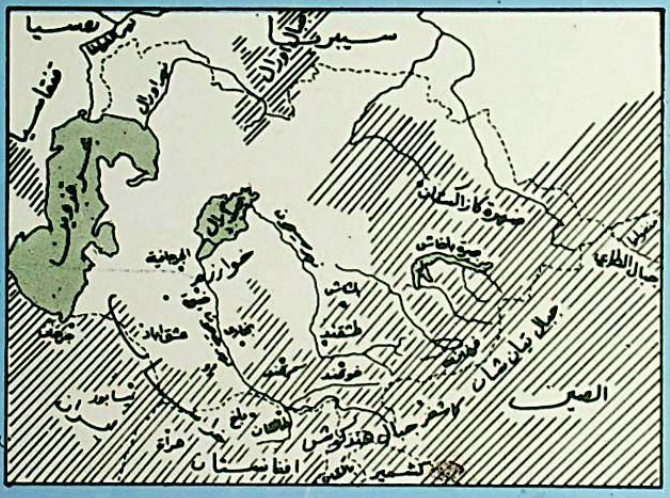

محمود شاكر

المكتب الإسلامي

مواطن الشعوب الإسلامية
في آسيا

- ١ -

تركستان الغربية

محمود شاكر

المكتب الإسلامي

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الثانية
١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م

المكتب الاسلامي
بيروت: ص.ب ١١/٣٧٧١ - هاتف ٤٥٠٦٣٨ - برقيًا: اسلاميًا
دمشق: ص.ب ٨٠٠ - هاتف ١١١٦٣٧ - برقيًا: اسلامي

مقدمة الطبعة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى إخوانه النبيين ، وصحبه الأكرمين وعلى آله الطيبين ، ومن نهج نهجه إلى يوم الدين أما بعد :

فقد نفدت الطبعة الأولى لهذا الكتيب منذ مدةٍ طويلةٍ ، وآثرت تأجيل إعادة الطباعة لأني قد وسّعت في بعض ما ورد فيه من معلومات في كتبٍ أخرى ، وهذا ما جعلني أظنّ أنه يمكن الاستغناء عن إعادة الطباعة ، ثم ظهر لي أن الواقع يخالف ظنّي ، فبدأ الطلب يزداد عليّ بضرورة توفّر أعداد هذه السلسلة « مواطن الشعوب الإسلامية » لأن بعض القُرّاء ، يرغبون في المختصرات ، أو فيما كان سهلاً في متناول اليد ، فعصرنا عصر السرعة والحصول على المعارف العامة والمعلومات المُكثّفة ، وغالباً ما يُحجم القُرّاء عن الكتب الموسّعة والبحوث المفصّلة ، ويعدّون ذلك من باب الاختصاص والدراسات الجامعية ، لذا فقد عدلت عن رأيي وأعدت النظر في هذا الكتيب ودفعته إلى المكتب الإسلامي الذي لا يتوانى في العمل النافع ، فجزى الله أصحابه خيراً .

والواقع أني عندما بدأت إصدار سلسلة « مواطن الشعوب الإسلامية » قبل ثلاثين عاماً كنت أتوخّى التعريف العام بتلك المواطن التي غدت في زوايا نسيان المسلمين لابتلاعها من قبل دولٍ كبرى بعد ضعف المسلمين وغياب دولتهم عن الساحة وعن الفكر كما هو وضع « تركستان » التي نسعى للتعريف بها ، والتي ابتلعها الروس ، أو لغزوها من قبل الصليبيين حتى غدا المسلمون فيها أقليةً مجهولةً كما هي حال بلاد المورو أو ما يُعرف باسم « الفيليبين » ، أو لإزاحة المسلمين عن السلطة وبدء الهجوم على المراكز والمؤسسات الإسلامية ، وتفرقة المسلمين بين دولٍ شتى وأقلّيات مُوزّعة كما هو شأن بلاد الهند ، أو لضمّ بلاد وثنية لمنطقةٍ مسلمةٍ ودعم قوى العالم الكبرى لأولئك الوثنيين ضدّ المسلمين كما حدث في فطاني ، وتركستان الشرقية ، وتشامبا وغيرها . وعلى كل يجب ألا نغفل جهل المسلمين بإخوانهم للجهل نفسه أو للانشغال بالنفس كما لا ننسى نومهم الذي هم فيه وعلى ذلك فلا نعرف ما يدور على إخواننا من مُؤامراتٍ ومحنٍ ونكباتٍ ولا ما يدور في أرضهم من تسلُّطٍ وظلمٍ . من هذا المنطلق بدأت بالتعريف ولا زلت أسير فيه . بتوفيق الله ـ جل شأنه .

فالسلسلة إنما هي تعريف عام ببعض المواطن التي يُقيم فيها المسلمون سواء أكانوا أقليةً أم أكثريةً ، ولا شكّ فإن المواطن المجهولة هي صاحبة الأولوية ، وكل الذي نرجوه أن يكون في هذا التعريف

إيقاظ للهمم ، وصحوة للنائمين ، ويقظة للغافلين ، وتنبيه لمن يريد الخير لأمّته الإسلامية التي طالت كبوتها ، وقد آن لها أن تنهض ، وتستمسك بالعروة الوثقى من عقيدتها التي فيها عزّها ومجدها .

والله نسأل التوفيق وسداد الخطى فهو نعم المولى ونعم النصير .

الرياض ١١ جمادى الأولى ١٤٠٧ هـ .

محمود شاكر

مقدمة الطبعة الأولى

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، وصلى الله على نبيه محمد خاتم النبيين وإمام المجاهدين وعلى آله وصحبه ومن سار على هديه إلى يوم الدين

وبعد :

كنت قد نشرت بعض مقالات عن تركستان[1] في مجلة حضارة الاسلام ، وشاء الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن لا يستمر تتابعها فتوقّفت ، وما أن حجبت حتى تلقيّت عدداً من الرسائل تُطالبني كلها بمتابعة الكتابة وتُلحّ عليّ ، ولما لم أقوَ إلا على الامتثال وهم لا يعلمون ـ وفقهم الله ـ أن التأخر ليس من جهتي ، لذا عمدت إلى جمع ما نشر وإتمام البحث عن القسم الأول ، وكان مما كُتب إليَّ يبين أن الناس قد

(١) تركستان : منطقة واسعة تشمل الجزء الأعظم من آسيا الوسطى . أهمل سكانها عقيدتهم فتوزعوا أيدي سبأ ، وقسمت أرضهم إلى قسمين : شرقي يقع ضمن حدود الصين وتحت سيطرتها ويعرف باسم تركستان الشرقية ، وغربي ويخضع للاستعمار الروسي ويعرف باسم تركستان الغربية ، وكل قسمٍ وُزع بدوره إلى أقسام وأجزاء .

أصبحوا في بُعدٍ تامٍ عن هذه المواطن وجهل حتى كاد يأتي عليها النسيان .

احتلّت روسيا هذه المناطق وابتلعتها منذ أكثر من قرن ، وأصبحت تعدّها من ضمن أراضيها ، وصارت دراستها دراسة بقعةٍ من أرضٍ واسعةٍ فلا يُتعرّض لها إلا بقليلٍ من العناية ، بعد أن كانت تدرس وحدها ، فتُوسّع أجزاؤها ، وتُمحّص مناطقها .

تغيرّت أسماء المناطق وتبدّلت أسماء المدن ، فلم يعُد يُذكر لتلك المراكز التي حملت شعلة الحضارة مدّة من الزمن ، واقترنت بها ، فزالت معالمها ، وامحّت حضارتها ، ودُرست آثارها ، وأهملت جغرافيتها ، ولم يعُد منها في الذاكرة إلا معلومات بسيطة من خلال مقتطفات من الأدب أو شذرات من التاريخ أو من أسماء علمائها الذين لعوا فأضاؤوا الكتب بعلمهم ، وأناروا الطريق لمن بعدهم .

عدت روسيا تاريخ المنطقة قد ابتدأ منذ دخولها إليها ، فأهمل الماضي ، وحيل بينه وبين الشعب ، وعُدّ مذلّة وتأخُّراً .

تقوقعنا نحن في مناطقنا متخذين العنصر أساساً لكل اعتبارٍ ، فتركنا دراسة تلك الأمصار التي ارتبط تاريخها بتاريخنا حقبةً من الزمن ليست قصيرةً ، فضاعت معالمها عنا ، وإن بقيت في الذكريات عند القليل النادر من العلماء فنقف عليها كالأطلال .

تركنا كل دعمٍ لهذه الأمصار لبُعدنا عن العقيدة وجهلنا لهم وجهلهم لنا ، وهذا ما دفعني للكتابة عن هذه المناطق رغم صعوبتها لقلة المعلومات وتضارب الاحصاءات وعدم الثقة بصحتها ، وأعترف من الآن أنني لم أستطع أن أُؤدي الموضوع حقّه ، ولم أقم بالواجب الذي يترتّب عليَّ ولعلَّ لي بعض العذر بسبب الصعوبات التي ألمحت عنها .

ولم أحاول أن أتوسع في البحث توسّع الجغرافي ، ولا الباحث الاجتماعي ، ولا المؤرخ الناقد ، وأنما أحاول أن أعطي المعلومات التي يحتاج إليها القراء الذين يُريدون أن يطّلعوا على المنطقة ، ويتعرَّفوا على أوضاع إخوانهم المسلمين في بقاع الأرض ، والله من وراء القصد .

ربيع الأول ١٣٨٦هـ

حزيران ١٩٦٦ م

محمود شاكر

لمحة تاريخيّة

في أواسط آسيا ،وبين المرتفعات[1] ، تمتّد حوضة كبيرة كانت تملؤها المياه ، ردمتها الرواسب والمجروفات ، التي حملتها إليها الأنهار المنحدرة من الجبال العالية المحيطة بها والتي تتلقّى الأمطار لارتفاعها ، فتتشكّل منها تلك المجاري المائية . أما وسط الحوضة فمنخفض بعيد عن أثر البحر ، مما جعل الأمطار قليلة[2] ، وكان صيف المنطقة حاراً لاهباً ، استطاعت هذه الحرارة اللافحة ، أن تبخر كميات كبيرة من المياه المتجمعة في الحوضة ، كما أن الشتاء جاف بارد ، فلا تجلب الرياح الغربية إلا كمياتٍ ضئيلة جداً من المطر ، تهطل على جنوب الحوضة ، هذا المُناخ أتى على معظم مياه البحيرة ، ولم يبق إلاّ آثار

(١) المرتفعات المحيطة بالحوضة هي ضهرة قازاقستان وجبال أورال من الشمال ، والجبال العالية التي تُؤلّف الحدود مع إيران وافغانستان والصين من الجنوب والشرق والتي تشكل أيضاً فيرغيزيا وطاجيكستان وأهم هذه الجبال هضبة بامير ، وهندكوش ، وتيان شان ، وآلتاي ، وآلاي كما تقع في الغرب جبال القفقاس وهضبة أرمينيا .

(٢) تتلقّى المنطقة أمطاراً أقل من ٢٠٠ مم ، وإن المناطق التي تقلّ امطارها عن هذه الكمية تُعدّ صحراويةً ، والأمطار صيفية في الشمال وشتوية في الجزء الجنوبي .

منها ، أهمها بحر قزوين[1] ، وبحر آرال[2] ، وبعض المياه المتجمّعة على شكل بحيراتٍ صغيرةٍ أو مستنقعات قليلة ، تنتهي فيها بعض المجاري المائية التي لا تستطيع تجاوزها لقلّة وشحّ مياهها ، وشدّة التبخّر ، ولولا المياه الغزيرة المتدفقة من الجبال[3] التي تصل إلى المساحات المائية الواسعة ، لزالت معالمها ، واندثرت آثارها .

في هذه المناطق الصحراوية عاشت قبائل ، فرضت عليها الطبيعة الارتحال ، وأجبرها الكلأ على الانتقال ، يعود معظمها إلى أصلٍ تركي ، هذا الأصل أعطى المنطقة اسم تركستان[4] .

دانت هذه القبائل بالوثنية ، حتى سطع عليها نور الإسلام ، فلفّها بين أشعته ، وطواها بين جوانحه ، فاعتنقت جميعاً الإسلام ، وإذا بالعلماء الأفذاذ[5] يخرجون منها فيخدمون الدين بعلمهم ونتاجهم ، بل خدموا العالم ، فالإسلام دين البشرية جمعاء .

---

(١) أُطلق عليه أيضاً بحر جرجان ، بحر طبرستان ، وبحر الخزر ، وسطح مياهه في الشمال يبلغ : ٢٦ م .

(٢) وأُطلق عليه أيضاً اسم بُحيرة خُوارزم .

(٣) أهم المياه التي ترفد بحر قزوين هو نهر الفولغا أطول أنهار أوربا ، وأهم المياه التي تصل إلى بحر آرال نهرا سيحون وجيحون .

(٤) يقصد بـ (تركستان) بلاد الترك ومثلها افغانستان وهندستان وكردستان أي بلاد الأفغان وبلاد الهند وبلاد الكرد .

(٥) من العلماء الذين نشؤوا من هذه المنطقة :

بعد معركة نهاوند[1] الحاسمة بين المسلمين والفرس ، أمر الخليفة عمر بن الخطاب [2] ـ حسب نصيحة الأحنف بن قيس [3] ـ الجيوش الإسلامية بالانسياح في بلاد فارس ، وأرسل قادةٍ سبع ، وجّه كلاً منهم لجهةٍ ، وكان الأحنف بن قيس هو قائد الجبهة الشرقية .

= ١ ـ الإمام البخاري المتوفى عام ٢٥٦هـ و. و إمام الحديث .
٢ ـ الترمذي المتوفى عام ٢٧٩هـ من أئمة الحديث .
٣ ـ النسائي المتوفى عام ٣٠٣هـ من أئمة الحديث .
٤ ـ الطبري المتوفى عام ٣١٠هـ وهو صاحب التفسير والتاريخ المعروف .
٥ ـ الخُوارزمي المتوفى عام ٤٢٨هـ وهو ابن أخت الطبري وكان يحاضر في أخبار العرب وأيامها وروايتها ، ويدرس كتب اللغة والنحو والشعر ، وشعره لا يقل عن نثره .
٦ ـ الخوارزمي عالم الرياضيات محمد بن موسى المتوفى عام ٢٣٢هـ .
٧ ـ ابن سينا المتوفى عام ٤٢٨هـ الطبيب والأديب والفيلسوف المشهور .
٨ ـ الغزالي المتوفى عام ٥٠٥ الإمام أبو حامد الغزالي حجة الاسلام وصاحب كتاب إحياء علوم الدين .
٩ ـ الزمخشري المتوفى عام ٥٣٨هـ وهو من أئمة التفسير .
١٠ ـ البيهقي المتوفى عام ٥٦٥هـ وهو من أئمة الحديث ،
إضافة إلى علماء كثيرين لا يُعدّون ، وواضح أن هؤلاء من أئمة العلم الكبار .

(١) نهاوند بلدة تقع إلى الجنوب الغربي من طهران اليوم على بعد ٤٠٠ كم وجنوب مدينة همدان ، وكان المسلمون بقيادة النعمان بن مقرن ثم حذيفة بن اليمان بعد استشهاد النعمان .

(٢) عمر بن الخطاب الخليفة الثاني خلافته (١٣ ـ ٢٤هـ) (٦٣٤ ـ ٦٤٤ م) .

(٣) الأحنف بن قيس : واسمه الضحاك وقيل صخر ، أسلم أيام الرسول صلى الله عليه وسلم وتوفي سنة ٦٧هـ .

وكان يزدجرد قد سار إلى خراسان[1] ، وأقام بمرو[2] ، فسار الأحنف نحو مدينة هراة[3] ففتحها ، ثم سار نحو مرو فافتتحها ، وفر يزدجرد إلى بلْخ[4] . واستنجد بملك الصين وقبائل الصغد[5] والترك ، وجاءته الجموع الكثيرة ، وظنّ بالنصر عندما رأى ذلك ، وحلم باستعادة مدينة مرو ، ولكن ظنّه خاب ، وهُزم هزيمةً مُنكرةً ، ولم تغن عنهم كثرتهم شيئاً ، وضاقت عليهم الأرض بما رحُبت وانهزموا مُدبرين . كانت القوتان غير مُتكافئتين ، جموع محتشدة لا تحصى ، وأعداد منتشرة ، تملأ السهول والآكام ، تنظر إلى أعدادها ، فتغرّها كثرتها ، ويغلب عليها الظنّ أنها لا تُقهر، عدتّها الحشود ، ونصيرها مضاء السلاح، تجمعها روابط الدنيا، ويُشجعها الطمع في الأسلاب والنهب وحبّ سفك الدماء، وإلى جانب هذه القوة حفنة من الرجال،

(١) خراسان : هو الاقليم الشرقي من بلاد فارس ، وكان يُطلق على منطقة حاضرتها مدينة مرو ، ومن مدنها هراة ، ونيسابور ، وبلخ ، وسرخس ، وطالقان ، وتقع هذه المنطقة اليوم في ثلاث دول هي إيران ، وافغانستان ، وبلاد التركمان التي تخضع للاستعمار الروسي اليوم .

(٢) مدينة مرو تقع اليوم في تركستان في ظل الاستعمار الروسي . والنسبة لها مروزي .

(٣) هراة : مدينة تقع اليوم شمال غربي أفغانستان ، والنسبة لها هروي .

(٤) بلْخ : مدينة تقع شمالي افغانستان جنوب نهر جيحون ، وهي عاصمة اقليم باكتريا .

(٥) الصغد : بلاد تمتد على مسيرة خمسة أيام ، وفيها قرى كثيرة بين سمرقند وبخارى ، ويمرّ فيها نهر يعرف بنهر الصغد .

تضيع بين أعدائها ، ولكن سلاحها الإيمان ، ورابطها الدين ، والموت في سبيل الله أسمى أمانيها . وما هي إلا جولة خاطفة حتى تفرقت الجماهير الغفيرة ، ولاذت بالفرار ، وانهزم الكفر ، وعلت راية الإيمان ، وانتهى الأمر بوصول المسلمين إلى نهر جيحون (امودار يا) . وخلصت خراسان للفاتحين الجدد .

وحاول بعض الأمراء من خراسان السيطرة على المنطقة في عهد الخليفة عثمان بن عفان[1] ، فغزاها عبد الله بن عامر[2] في عام (٣١هـ - ٦٥١م) ، فصالحه أهلها ، فوجّه الأحنف بن قيس نحو الشرق ففتح طخارستان[3] .

وبعد مضي خمس سنوات بدأت الفتنة في أرض الإسلام ، أشعل نارها أحد اليهود وهو عبد الله بن سبأ[4] ، فعادت الفوضى إلى أرض خراسان ، واستطاع معاوية[5] أن يُعيد فتحها من جديد ، فاستقّر فيها

---

(١) عثمان بن عفان : الخليفة الثالث وكانت خلافته (٢٤ - ٣٦هـ)(٦٤٤ - ٦٥٦م)

(٢) عبد الله بن عامر : وهو أمير البصرة الذي خلف أبا موسى الأشعري ، وكانت مغازي البصرة فارس وخراسان ، بينما كانت مغازي الكوفة الري وأذربيجان .

(٣) طخارستان : ولاية كبيرة في أعالي جيحون ، وتشمل الجزء الشمالي الشرقي من أفغانستان .

(٤) عبد الله بن سبأ : وهو أحد اليهود الذين أظهروا الاسلام ، وأبطنوا الكفر ، وهذه الطريقة يتبعها اليهود إلى الآن ، ويهود الدونمة في تركيا ودورهم في إسقاط الخلافة والدعوة للقومية الطورانية معروف .

(٥) معاوية بن أبي سفيان : مؤسس الدولة الأموية ، وقد كانت خلافته (٤١ - ٦١ - ٦٦١ / ٦٨٠ م) .

الإسلام نهائياً ، ولم يعد للكفر أية جولة . ولم يتجاوز المسلمون نهر جيحون مطلقاً إلا في غزواتٍ على شكل غاراتٍ ، حيث أرسل معاوية ابن أبي سفيان أحد رجاله وهو عبيد الله بن زياد بن أبيه إلى خراسان فعبر نهر جيحون وجاء بُخارى ، ففتح بيكند[1] وحاصر بُخارى عام (٥٤هـ - ٦٧٣م) وصالحه أهلها وكانت ملكتهم امرأة تسمى (الخاتون) تحكمهم نيابةً عن ابنها طغشادة ، ثم عُزل عبيد الله بن زياد ، وتولّى أمر خراسان سعيد بن عثمان بن عفان ، فأغار على بُخارى فانتصر عليهم ، وكان أهل الصغد معهم ، وجدّد الصلح بين الطرفين ، كما أغار على سمرقند . ويقال أن قثم بن العباس بن عبد المطلب قد استُشهد في سمرقند ، وهو ابن عم النبيﷺ ، ويدّعون أن له فيها ضريحاً ويُعرف هناك باسم « مزار شاه زنده » أي السلطان الحي ، كما يقول بعضهم إنه قد استُشهد في مدينة مرو .

تولّى أمر خراسان بعدئذ مسلم بن زياد بن أبيه فألّف جيشاً ، واتجه نحو بُخارى فصالحه أهلها ، ولكنهم لم يلبثوا أن نكسوا عهدهم ، فأرسل إليهم المهلب بن أبي صفرة ، فانتصر عليهم . وقد عرفت البلاد التي وراء نهر جيحون باسم بلاد ما وراء النهر .

وقد توقفت الفتوحات بعد معاوية مدةً ولم تتقدّم شيئاً ، حيث شغل المسلمون بأوضاعهم الداخلية الناشئة عن الخلافة ، تلك

(١) بيكند : مدينة بين بُخارى وجيحون على بعد ٤٤ كم من بُخارى .

الحوادث المعروفة في التاريخ والتي سببت انقسام المسلمين وانشغالهم عن الفتوحات ، وهذا طبيعي فكل انقسام يحدث في الداخل ، وكل فتنةٍ تحدث ، وكل تشجيع لصف دون الآخر ، ومعاداة لقسم دون الثاني ، إنما هو تأخير في التقدّم الخارجي ، ووقوف في وجه النشاط الإسلامي . وما انقسام العرب والمسلمين اليوم بخافٍ على ذي عقل ، ومن المسؤول عن هذا الانقسام والتفرّق والاختلاف والتمزّق . وفي كل مدةٍ نجد أنصاراً للأعداء يعملون على محاربة الحركة الإسلامية ، ومضايقة قادتها حباً في السيطرة والشهرة ، وسيراً في ركب أعداء الإسلام ومداهنتهم وهذا ما دعاه اليوم إلى الوقوف في وجه انتشار الإسلام ، وفي الوقت نفسه ساعد على نشاط التنصير والاستعمار في قلب تلك القارة التي هي ميدان للصراع بين الإسلام والنصرانية ، بين الإسلام وأعدائه على اختلاف أنواعهم ، كما أنها المجال للصراع بين الأفكار والمعسكرات وأخيراً الصراع بيننا وبين إسرائيل .

وفي أيام عبد الملك بن مروان[1] ولي أمر المشرق الحجاج بن يوسف الثقفي ، فولّى على خراسان المهلب بن أبي صفرة ، فأغار عبد الرحمن ابن محمد على كابل[2] ، ثم ولى زيد بن المهلب ، ثم أخاه الفضل ،

---

(١) عبد الملك بن مروان : الخليفة الأموي الخامس وكانت خلافته ٧٣ ـ ٨٧هـ (٦٨٥ ـ ٧٠٥ م) . ومن قبل كان الخليفة الشرعي عبد الله بن الزبير ، رضي الله عنهما .

(٢) كابل ، عاصمة بلاد الأفغان اليوم .

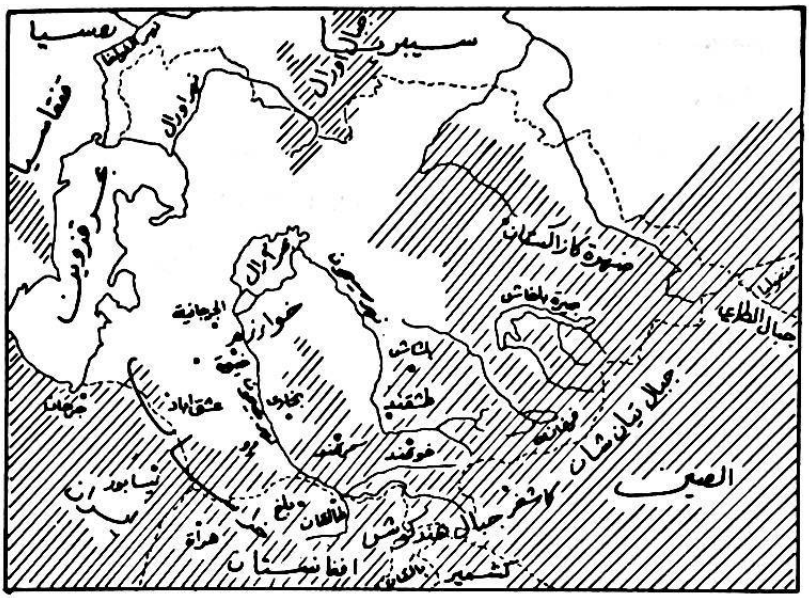

وأخيراً عزله الحجاج ، وولى مكانه قتيبة بن مسلم الباهلي (٨٨هـ ٧٠٦م) فعبر جيحون ، وحاصر مدينة بيكند ، وقد لقي عنتاً شديداً في الاستيلاء عليها لأنها كانت على غاية من التحصين ، ثم فتح مدينة بُخارى ، ثم مدن خُوارزم ، ثم فتح سمرقند[1] عاصمة الصغد ، وبنى فيها مسجداً ، ثم عاد إلى مرو ، وفي العام التالي غزا بلاد الشاش

(١) سمرقند : تقع على بعد ٧ كم جنوب نهر زرافشان ، حاصرها سعيد بن عثمان والي خراسان سنة ٥٥هـ ، ثم فتحها قتيبة ، احتلّها الروس سنة ١٢٨٦هـ (١٨٦٨م) وجعلوها عاصمة زرافشان ، والآن تتبع جمهورية اوزبكستان الاتحادية .

(طاشقند) وفرغانة ، ثم اتجه نحو الشرق ، وفتح مدينة كاشغر ، وكان ذلك في خلافة الوليد بن عبد الملك[1] .

وكان أهل بُخارى يسلمون ثم يرتدّون حين يعود المسلمون ، وكان قتيبة قد حملهم على الإسلام ثلاث مراتٍ ، ثم عادوا فارتدّوا وكفروا ، وقد حاربهم قتيبة في المرة الرابعة ، واستولى على المدينة ، فأظهر أهلها الإسلام بعد عناءٍ كبير ، وغرسه قتيبة في قلوبهم في شتّى الوسائل وعلّمهم بكل الطرق ، فكانوا يقبلون على الإسلام في الظاهر ، ويعبدون الأصنام في السر ، فأمر قتيبة أهل بُخارى أن يُعطوا نصف بيوتهم للعرب المسلمين ، ليُقيموا معهم ، ويطلعوا على أحوالهم ، وبهذا انتشر الإسلام ، وبنيت المساجد ، وأزيلت آثار المجوسية .

وكان قتيبة يأمر المسلمين أن يخُرجوا معهم أسلحتهم أثناء ذهابهم لصلاة العيد حيث كانوا لا يزالون يخشون بأس المجوسية ، وأصبحت بعد ذلك سنَّة إلى مجيء المستعمرين الروس ، يخرج كل صاحب سلاحٍ سلاحه أثناء ذهابه لصلاة العيد .

وقد بُني أول مسجد في بُخارى عام (٩٤هـ ٧١٤م) وقد جُدِّد هذا المسجد ومنارته عام (٥١٥هـ ـ ١١٢١م) بأمر أرسلان خان . ويُعدّ هذا المسجد ومنارته من أهم آثار بُخارى الإسلامية ، وقد حُوِّل

(١) الوليد بن عبد الملك ، الخليفة الأموي السادس وكانت خلافته ٨٧ ـ ٩٧هـ (٧٠٥ ـ ٧١٥م) .

هذا المسجد بعد السيطرة الشيوعية إلى متحف ومكتبة ، ووضعت أمامه التماثيل ، وسميت المكتبة باسم « مكتبة ابن سينا » .

وقد أسلم ملك بُخارى طغشاده بن الخاتون على يد قتيبة وبقي ملكاً عليها ، وأنجب ولداً أسماه قتيبة حباً بالفاتح ، ولكن هذا الولد قد ارتدّ أيام أبي مسلم الخراساني الذي قتله ، كذلك اتّبع بعض أبناء طغشاده دعوة المقنع[1] الذي ثار أيام المهدي .

عندما فتح المسلمون مدينة بُخارى ، أقيم إلى جانب أمير بُخارى عامل مسلم تابع لأمير خراسان الذي كان يُقيم في مدينة مرو . وقد سميت مدينة بُخارى باسم قبة الإسلام بسبب الإمام البُخاري .

وفي عهد سليمان بن عبد الملك[2] عاد لولاية المشرق يزيد بن المهلب ، ثم عُزل بعد وفاة سليمان ، وأخذ الولاية مسلمة بن عبد الملك مدةً ، ثم ولي عمر بن هبيرة ، وفي أيام هشام بن عبد الملك[3] عُزل عمر بن هبيرة ، ووُلّيَ مكانه خالد بن عبد الله القسري ، وفي هذه الأثناء دخل أهل سمرقند ، وكافة بلاد ما وراء النهر في الإسلام ،

---

(١) المقنع : واسمه هاشم بن حكيم .

(٢) سليمان بن عبد الملك : الخليفة الأموي السابع وكانت خلافته ٩٧ ـ ٩٩هـ (٧١٥ ـ ٧١٧م) .

(٣) هشام بن عبد الملك : الخليفة الأموي العاشر وكانت خلافته ١٠٦ ـ ١٢٦هـ (٧٢٤ ـ ٧٤٣م) .

ورفعت عنهم الجزية[1] ، وكان داعية الإسلام صالح بن طريف ، ويُكنّى بأبي الصيداء ، ولم تكن بقعة من أرض الإسلام لتخلو ـ والحمد لله ـ من داعيةٍ من الدعاة في أي وقت من الأوقات في التاريخ مهما كانت المنطقة على قلة من العلماء أو الصلة ببقية أجزاء العالم الإسلامي .

ثم وُليّ أمر خرسان يوسف بن عمر الثقفي ، ثم نصر بن سيار، وكان المسلمون قد فتحوا تلك الأرجاء، واستقّروا فيها، وكانت اليمانية أكثر الفئات سكناً لتلك البقعة . وبعد هذا الاستقرار ، استرخت النفوس ، ومالت إلى الدعة ، والخلود ، ثم بدأ التنازع ، وظهر بين القبائل ، وثارت العصبية ، وانقسم العرب إلى يمانيةٍ ومضريةٍ ، وساد الخلاف بينهما ، واشتعلت نار الحرب عندما لم يجدوا من يحاربونه ، ونسوا الأمر الذي ذهبوا من أجله وهو نشر الإسلام والدعوة إلى الله والجهاد في سبيله . وكان نصر بن سيار زعيم المضرية هو والي المنطقة رغم قلّة المضرية ، وكان أسد بن عبد الله القسري هو زعيم اليمانية .

هذه العصبية أثارت عصبيات أخرى ، فالمناداة بالعربية أثار الفارسية ، وقامت الدعوة إليها ، بينما كان الدين يجمع بينهما ، فتفرّقت الأمة ، وتقطعّت أوصالها ، وما استحكمت العصبية في أمةٍ إلاّ

(١) الجزية : مبلغ من المال يفرض على أهل الكتاب الذين هم في حماية المسلمين ومقابل ذلك يعفون من الجهاد ، ويردها إليهم المسلمون إذا لم يستطيعوا حمايتهم .

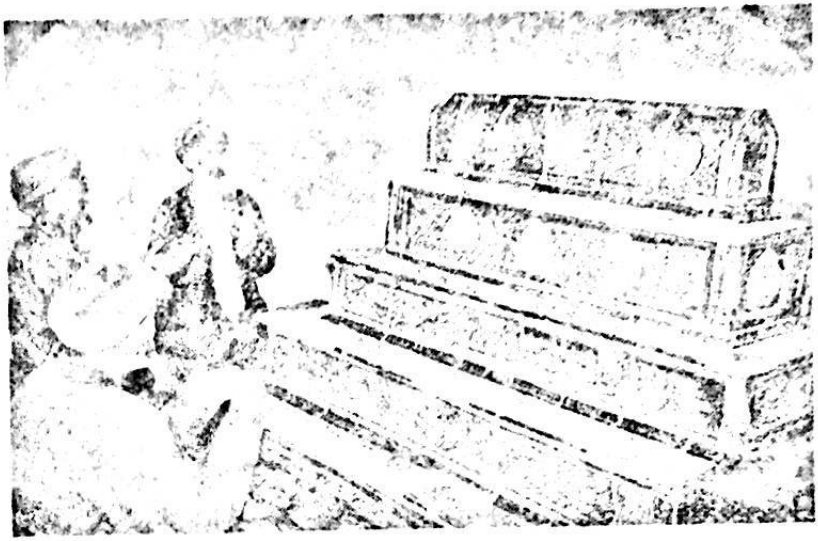

قبر قثم بن العباس في مدينة بخارى كما يزعمون

فرّقتها فرقاً ، ومزّقتها مزقاً ، وجزأتها قطعاً ، وما تفرّقت أمة إلاّ ذلّت ، وما أصاب الذلّ أمّةً إلاّ سطا عليها أكثر أهل الأرض شرّاً ، وأقلّهم قدراً ، وأحطّهم أمراً ، وما أصابنا ما أصابنا إلاّ بعد أن تقوقعنا على أنفسنا في المناطق الناطقة بالضاد ، وفرّقنا أصحاب الأطماع ، وشتّتنا أهل الهوى ، وتركنا الدعوة للفكرة ، وقمنا على أساس العصبية ، وهذا ما دعا الآخرين لردّ الفعل ، فنادى كل أصحاب عنصرٍ بعصبيتهم وقوميتهم ، وسطا علينا أحط أهل الأرض (اليهود) .

واستفاد أبو مسلم الخراساني داعية بني العباس من هذه التفرقة فضمّ إلى جموعه :

١ ـ اليمانية المعارضة للمضرية وزعيمها نصر بن سيار ، ويطمعون في الولاية والنفوذ لكثرتهم ، وينقمون على ولاية الأقلية .

٢ ـ الناقمون على الأمويين لمصالحهم الخاصة .

٣ ـ الداعون إلى العصبية الفارسية ممن أظهر الإسلام وفي نفسه شيء إلى عقيدته المجوسية وعنصريته .

٤ ـ الناقمون على الحكم الأموي ، الذي جعل الخلافة ملكية خاصة ببني أمية ، وترك مبدأ الشورى .

إضافة إلى الآراء الشخصية والأطماع الفردية . وأحسّ نصر بن سيّار بهذه التفرقة وشعر بخطر العصبية ، ولكن بعد أن فات الأوان ، فالنار قد اشتعلت ولايمكن إخمادها بشكلٍ سهلٍ ، وخاصة أنه كان قد تعصّب لجماعته[1] ، فكتب إلى مروان بن محمد[2] آخر خلفاء بني أمية يقول :

أرى تحت الرماد وميض نارٍ ... ويُوشك أن يكون له ضرام
فإن النار بالعيدان تذكي ... وإن الحرب مبدؤها الكلام
أقول من التعجُّب ليت شعري ... أأيقاظ أُميّة أم نيام ؟

(١) كان يتعصب للمضرية .

(٢) مروان بن محمد : حفيد عبد الملك بن مروان ، كانت حاضرته في حران من بلاد الجزيرة ، انتقل الحكم إليها حيث استحكمت الخلافات بين أفراد البيت الأموي في دمشق وكانت خلافته ١٢٧ ـ ١٣٢هـ (٧٤٤ ـ ٧٥٠م) .

فإن كانـوا لحينهـمُ نياماً فقل : قوموا فقـد حان القيام

وكتب إلى يزيد بن عمر بن هبيرة والي العراق من قبـل بنـي أميّة يستنجد به :

أبلـغ يزيد وخـير القـول أصدقه
وقـد تحققـت أن لا خـير في الكذب

بأن أرض خراسـان رأيت بها
بيضـاً إذا أفرخـت حدثـت بالعجب

فراخ عامـين إلا أنهـا كبرت
ولـم يطـرن ، وقـد سربلن بالزغب

فإن يطـرن ولـم يحتـل لهـن بها
يلهبـن نـيران حرب أيمـا لهب

وأعاد نصر الصيحة تلو الأخرى ، ثم التفت إلى حاضرتـه مرو ، يريد جمع العرب ، وينهي أمر الخلاف بين اليمانية والمضرية فقال :

أبلـغ ربيعـة في مرو وإخوتهم
فليغضبـوا قبـل ألا ينفـع الغضب

ولينصبـوا الحـرب إن القـوم قد نصبـوا
حربـاً ، يحـرق في حافاتهـا الحطب

ما بالـكم تلقحـون الحـرب بينكمُ
كأن أهـل الحجـا عن رأيكم عزب

ولكن لم تجد هذه الصيحات في وقت تشتّت فيه الأفكار وتفرقت الأهواء واستحكمت الخلافات والتفرّق تكون نتيجته على الأجيال القادمة أكثر مما تكون على الأجيال الحاضرة .

واستطاع أبو مسلم الخراساني الانتصار على أعدائه الذين تفرّقوا . وأخيراً التقى جيش العباسيين القادم من المشرق بقيادة عبدالله بن علي[1] بجيش الأمويين بقيادة مروان بن محمد آخر خلفاء بني أميّة على نهر الزاب أحد روافد دجلة ، وكان الجيش الأموي مُفرّقاً مختلفاً لا يُدافع عن فكرة ، ولا يعمل لدعوة ، الفكرة التي حملها أجدادهم الذين انطلقوا في الفتوحات ، والعقيدة التي يؤمن بها أن الرجل المقاتل في سبيل الله ينال إحدى الحسنيين : إما الشهادة في سبيل الله وإما النصر .

ولننظر إلى الجيش الأموي على نهر الزاب وعلى مقدمته مروان بن محمد وهو يقول لقضاعة : انزلوا ، فتقول قضاعة : قل لبني سُليم فلينزلوا ، ويرسل إلى السكاسك أن احملوا ، فيقولون له : قل لبني عامر فليحملوا ، ويرسل إلى السكون أن احملوا ، فيقولون له : قل لغطفان فليحملوا ، ويقول لصاحب شرطه انزل فقال : لا ، والله ما كنت لأجعل نفسي غرضاً . وكيف ينتصر هذا الجيش ، ويُقاتل الجندي ، ويعتقد أنه يُقاتل عصبية ، ويدافع عن رايةٍ لا يُؤمن بها ،

(١) عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ، وهو عم أبي العباس السفاح وأبي جعفر المنصور .

ويُناضل من أجل قادةٍ طوعاً أو كرهاً ، إن انتصر لم ينل شيئاً ، وإن مات لم يحرز أجراً[1] ، هذا الأمر جدير بالاهتمام من كل حاكم أو قائد أو مسؤول ، ونحن اليوم على أبواب معركةٍ عاجلاً أو آجلاً مع اليهود المغتصبين . ومع أعداء الله وقد تكالبوا علينا وتكاثروا .

دالت دولة بني أمية وقامت دولة بني العباس .

كانت الدولة تُقسم إلى أقاليم ومن هذه الأقاليم ، إقليم المشرق وهو ذو جناحين ، أحدهما في الشرق وهو ما كان شرق نهر جيحون أو أموداريا ويسمى ببلاد ما وراء النهر أو هيطل ، والثاني وهو ما كان غرب نهر جيحون ويعرف باسم خراسان .

١ ـ **بلاد ما وراء النهر**: ويخضع هذا الجزء بأكمله الآن إلى الاستعمار الروسي ، وقد قال عنه البشاري : « هذا الجانب أخصب بلاد الله تعالى ، وأكثرها خيراً ، وفقهاً ، وعمارةً ، ورغبةً في العلم ، واستقامةً في الدين ، وأشد بأساً ، وأغلظ رقاباً ، وأسلم صدراً ، وأرغب في الجماعات مع يسارٍ وعفةٍ ومعروفٍ وضيافةٍ وتعظيمٍ لمن يفهم » وفي هذا القسم ست كور .

(١) سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا رسول الله أيهم في سبيل الله الرجل يقاتل شجاعةً أم حميةً أم رياءً » قال : « من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله » . وقال صلى الله عليه وسلم : « إنَّ الله لا يقبل من الأعمال إلا ما كان خالصاً له » .

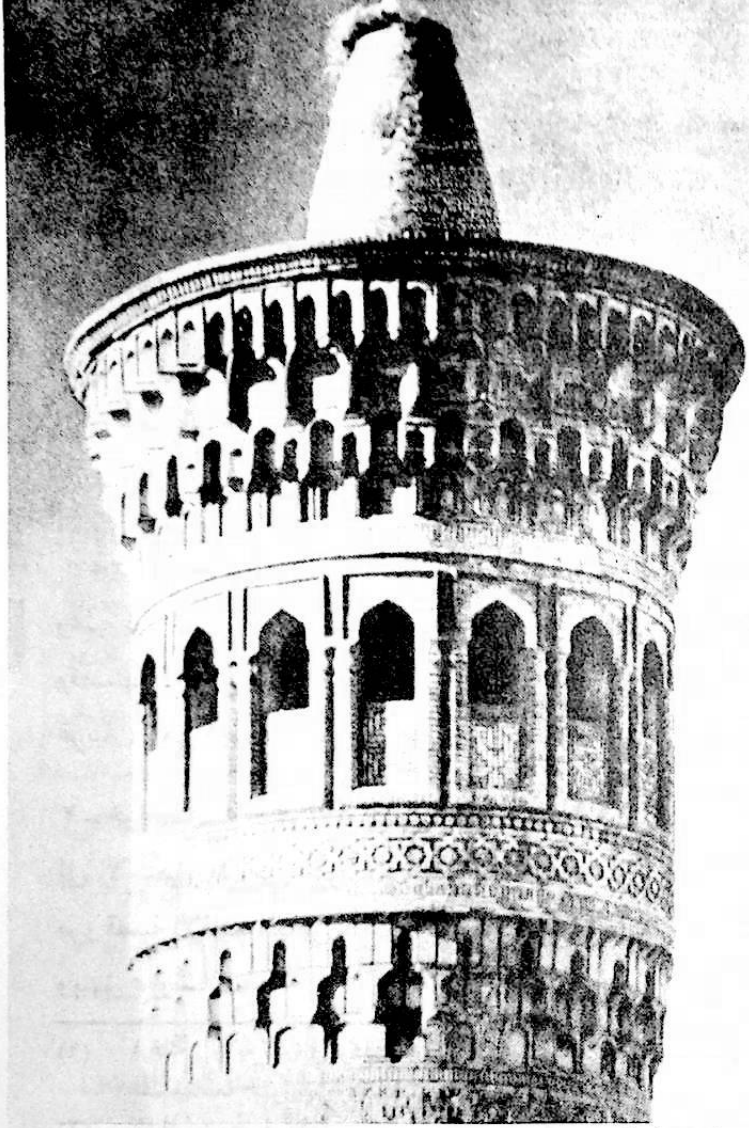

بخارى: لقد حول الشيوعيون عند هجومهم على بخارى سنة ١٣٤١هـ (١٩٢٢م) مسجد كلان ومدرسته الى متحف وبقيت منارة هذا المسجد شاهدة على مقدارما بلغه أهل بخارى من حضارة لقد بني هذا المسجد سنة ٥٢٢هـ (١١٢٧م) ولا تزال منارته تطل على بخارى حتى بعد أن توقف منها الأذان...

١ ـ فرغانة[١] : وقصبتها اخسكيت .

٢ ـ اسبيجاب : ومركزها اسبيجاب .

٣ ـ الشاش[٢] : وقصبتها نبكث (طاشقند) .

٤ ـ اشروسنة : وقصبتها بنجكث .

٥ ـ الصغد : وقصبتها سمرقند .

٦ ـ بُخارى : وقصبتها بُخارى .

ويمر نهر جيحون من هذا الاقليم ، ويتشعب منه أنهار كثيرة ، وعليه كور عديدة ، ومن أهمها خُوارزم[٣] ، وهي على حافتي النهر ، وقصبتها العظمى شرق النهر ، وهي مدينة كاث ، ولها قصبة أخرى غربية ، وهي الجرجانية ، وتقع على نهر ترمذ وآمل .

٢ ـ خراسان : وهو الآن يتبع إيران وافغانستان كما يخضع جزء منه إلى الاستعمار الروسي وهو بلاد التركمان ، وفي هذا الجزء تقع مدينة مرو قصبة الإقليم المشهورة ؛ كما تقع فيه أيضاً آمل ، وسرخس ، وبيهق ، ونسا .

---

(١) فرغانة : ولاية كبيرة في تركستان ، كانت عاصمتها مدينة خوقند ، وهي الآن أهم مقاطعة جمهورية أوزبكستان .

(٢) الشاش : وهي في الأغلب اسم مدينة طاشقند ، وتقع على نهر جرجق وهو رافد من روافد نهر سيحون ، وطاشقند اليوم عاصمة جمهورية أوزبكستان .

(٣) خُوارزم : هي خيوه .

زالت دولة بني أمية ، وقامت دولة بني العباس ، وتحرّكت عصبية كانت خامدة ، وابتدأ سفك الدماء ، وكثر القتل ، فالحرب بين العصبيات شديدة ليس لها حدّ تقف عنده ، ولا يعرف لها مثيل إلاّ الحروب بين الطبقات . هذان النوعان من الحروب أشد أنواع الخلاف ، وأقسى أنواع الحروب ، لا تعرف المجازر عداءً أبشع منها ، ولم يدر التاريخ خصاماً أقسى من ذلك ، فالحرب دائمة مستمرة لا تهدأ أبداً . ويقول أحد دعاة الحرب بين الطبقات[1] « الحكومة عبارة عن آلة ساحقة ، تسحق طبقة بطبقة ، وقد استعملت الطبقة البورجوازية هذه الآلة لسحق طبقة البروليتاريا ، والآن يجب على طبقة البروليتاريا أن تستعمل هذه الآلة لسحق الطبقة البورجوازية » ، وكل منا يعرف الملايين من الأرواح التي أزهقت في روسيا نتيجة الحقد بين الطبقات ، وحمامات الدم التي رافقت كل حركة تقوم بها طبقة على الأخرى ، وليست مجاري الدماء في الموصل وعمليات السحل ببعيدة ، ولم تتوصل تلك الفئة الحاقدة للحكم ، ولم تستلم شيئاً من الأمر .

ونتيجة الضعف الذي حلّ بالدولة بسبب الخلافات التي قامت ، ونظر كل قائد أو زعيم إلى السيطرة في منطقته معتمداً على عصبيته ،

---

(١) لينين .

فلم يمض وقت طويل حتى قامت الدولة الطاهرية[1] في مرو حاضرة خراسان ، وقامت أيضا الدولة السامانية[2] في بلاد ما وراء النهر ، وكانت عاصمتها مدينة بُخارى ، ومن قبل انخرط عدد كبير في دعوة المقنع[3] التي انتشرت في جزء من خراسان وبلاد ما وراء النهر . ثم لم تلبث أن تعددت الدول ، وكثرت ، وانفصلت عن جسم الدولة العباسية ، وبدلاً من أن تلتقي بالفكرة الدينية ، وتتآخى كما أمر الله ، لتقف في وجه العدو الذي لم يلبث أن داهمها حكومة بعد أخرى ، وجزءاً بعد جزء حتى قضى عليها نهائياً .

هذه الدول بدأت تدعو إلى عصبيات محلية ما أنزل الله بها من سلطان ، وذلك لتُبرّر وجودها وبقيت هذه العصبيات إلى يومنا ، نحملها دون تفكير ، وننادي بها دون خبرة ، ويزيد الأجنبي في إشعالها .

---

(١) مؤسسها طاهر بن الحسين قائد المأمون وذلك عام (٢٠٥هـ - ٨٢٠م) واستمرت هذه الدولة حتى عام (٢٥٩هـ - ٨٧٢م) وقضت عليها الدولة الصفارية .

(٢) مؤسسها أحمد بن أسد بن سامان وذلك عام (٢٦١هـ - ٨٧٤م) واستمرت ١٧٠ عاماً ، وانتهت على أيدي آل سبكتكين ، وسامان قرية بنواحي سمرقند .

(٣) المقنع هو هاشم بن حكيم ، وقد ادّعى النبوة ، وسمي بالمقنع لأنه كان يغطي وجهه ورأسه ، إذ كان في غاية القبح ، وكان أصلع ، وإحدى عينيه عوراء ، وقد صاحب الدعوة أيام أبي مسلم ، وقد سجن بعد ادعائه النبوة مدة ست سنوات ، ثم ذهب إلى مرو ، وادعى الألوهية ، وأنه ظهر للبشر على صورة آدم ، ثم نوح ، فإبراهيم ، فموسى ، فعيسى ، فمحمد ، ثم على صورة أبي مسلم وأخيراً بهيئة هاشم بن حكيم . وكانت جماعته تلبس الثياب البيضاء لذلك عرفوا باسم المبيضة ، وقد قضى المهدي على ثورته عام (١٦٧هـ - ٧٨٣م) .

هذه العصبيات لم يكن لها أي مبرر ، ولم يكن لها أي وجود ، لولا الأطماع الشخصية من الحكام الذين نادوا بها ليسندوا بها حكمهم ، وليختلفوا بها عن الآخرين ـ فإذا لم يختلفوا عن غيرهم فلا داعي لوجودهم ـ ، وأسرع الحكام ليُحيوا لغاتٍ محليةٍ اندثرت ، ولهجاتٍ إقليمية زالت منذ أن جاء الإسلام بلغته العربية . وأغدق هؤلاء الحكام على الشعراء الأموال الكثيرة ، ونال العلماء أعطيات كبيرة لقاء ما كتبوه في لغاتهم الخاصة ، وإذا كان الله سبحانه وتعالى قد اختار العربية لغة لدينه فما بال أقوام يختارون لغاتٍ أخرى للعصبية باسم العصبية ويظنون أنهم يُحسنون صنعاً ولا غبار على ذلك ، ولا حرج ، وظهرت مراكز كثيرة حضرية وعمرانية كلها تضاهي بغداد مركز الخلافة الإسلامية ، فكانت مرو[١] وغزنة[٢] وبُخارى[٣] وسمرقند[٤] ، وكانت القاهرة[٥] وحلب[٦] وفاس[٧] والقيروان[٨] و . . . . وكل مركز ولاية انفصلت عن جسم الدولة الأصلي ، وإن كانت بعض مظاهر الحضارة

(١) مرو : حاضرة خراسان ومركز الدولة الطاهرية .

(٢) غزنة : مدينة تقع جنوب كابُل ، وقد كانت مركز الدولة الغزنوية .

(٣) بُخارى : مركز الدولة السامانية .

(٤) سمرقند : عاصمة بلاد الصغد ، وحاضرة تيمورلنك .

(٥) القاهرة : عاصمة العبيديين وقد أسسها جوهر الصقلي .

(٦) حلب : حاضرة الدولة الحمدانية .

(٧) فاس : مركز الادارسة .

(٨) القيروان : حاضرة الأغالبة ، ورباط إفريقية الأول .

قد انتشرت مع بعض مظاهر الانحلال والفساد نتيجة الترف والإهمال كما أن الضعف السياسي قد ساد ، وتجزّأت الدولة ، فلا تدل مظاهر الحضارة دائماً عليها ، فقد تكون المظاهر في ناحية دون الأخرى ، وقد يكون جزء من الشعب قد وصل إلى مستوى معين من الحضارة كبير وأعطى المظهر العام للدولة على حين بقي القسم العظيم من الشعب يعيش بمستوى أقل بكثير من الحد الطبيعي ، وهو مظهر من معالم الخطر الذي يكمن في جسم الدولة ، وقد ينتشر الأدب ، وتتوسع الثقافة مع بقاء الشعب يعيش بمستوى منخفض ، ويقدر عليه رزقه .

وهكذا بدأت اللغة العربية تنحسر تدريجياً عن المناطق التي دخلتها مرفوعة الرأس تحت شعار الإسلام ، وخرجت منها مطأطئة ذليلة تحت راية العصبية ، وكما انحسرت قديماً عن المناطق الشرقية ، نراها اليوم تنسحب من إفريقية ببطء ، فقد لبثت إفريقية قروناً تحت نير الاستعمار ، ولكنها حافظت على لغة دينها الإسلامي مُتحديّة بذلك الغرب ولغته ، وعندما استقلت أرادت أن تتقرّب من إخوتها الدول العربية ـ إخوتها في الفكرة والعقيدة ، ولكنها وجدت نفسها قد نأت عنهم جميعاً حيث ساروا في درب العصبية ، درب الجاهلية ، درب لا يمت إلى الفكرة الإسلامية والعقيدة الدينية بشيء ، درب لم تعهده من قبل .

وانهارت الدولة تلو الأخرى ، لأنه لم يكن لها مقومات الدولة ، فكلها تعتمد على العصبية ، فلا يدوم الأمر لها كثيراً كثيراً حتى تقوم

غيرها ، ولا يستقر لها شأن حتى تضمحل وتزول ، فقد جاء السامانيون والغزنويون ، وحكمت قبائل تركية مختلفة ، ثم جاء السلاجقة ، توالوا على الحكم جميعاً ، فقامت في كل ناحية دويلة ، واستبّد في كل جهة طاغية ، وحكم في كل مدينة سلطان ، يُنافس الآخرين ، يعلو عليهم تارةً ، ويخضع لغيره أحياناً .

هذا التفكك الذي أوجدته العصبية لم يعد بالإمكان التغلب عليه ، حيث انقلب إلى نزعاتٍ محليةٍ وعصبياتٍ عنصريةٍ موضعيةٍ ، وصارت المنطقة هدفاً لغير ساكنيها ، ومطمعاً لغير أهلها ، كما هي حالنا الآن ، فقد أصبحت فلسطين لغير أبنائها ، عندما أصبح العرب يعتمدون على العصبية ، العنصرية ، وينزوون في المناطق الناطقة بالضاد ، وينادون بغير الفكرة التي خرجوا من أجلها من جزيرتهم ، وستصبح غير فلسطين إن بقي الوضع كما هو ، والحال على ما هي ، حيث تطمع إسرائيل بجزء كبير من سورية ومصر ، وشعارها « من النيل إلى الفرات » .

وكانت أكبر الدول التي قامت في بلاد ما وراء النهر هي خُوارزم وتمتدّ على مساحاتٍ واسعةٍ ، تشمل ضفاف نهر جيحون ، وتمتدّ حتى بحر قزوين ، ولكن وإن كانت هذه الدولة كبيرة في أرضها ، واسعة في رقعتها ، غنية بمواردها ، كثيرة العدد في سكانها ، تبدو عليها علائم الرخاء ، ويظهر على أهلها طابع النعمة ، وتملك جيشاً أكبر من أي

جيش من جيوشنا الآن حيث كان يقدر بـ ٤٠٠ ألف مُقاتل ، إلاّ أن الروح المعنوية ضعيفة ، والفكرة لا تربط بين ساكنيها ، فليست القوة المادية هي المعول الوحيد ، فمهما تسامت تبقى دون القوة المعنوية بل لا تكاد تذكر أمامها .

وكانت أحوال غربي آسيا لا تقلّ سوءاً عن أحوال مشرقها الإسلامي ، وجاءت الحروب الصليبية إلى غرب آسيا ، فلم يكن بالامكان الالتفات نحو المشرق والأخذ بيده ، فكل يعمل على شاكلته ، ويحاول حل مشكلاته معتمداً على بني جنسه ، فلم يصل إلى الأمر الذي يبغي ، إلاّ أنه سار نحو التأخرّ أشواطاً مُسرعةً بانتظام ، ولولا أن صلاح الدين اعتمد على العقيدة الإسلامية ، وطرح فكرة العصبية الجنسية بعيداً ، وألقاها ساخراً منها إذ وجد فيها الاهتداء وقد أصاب أهل الترهُّل والخلود إلى الأرض لما أدرك ما أحرزه .

في هذا الوقت بالذات كانت قبائل المغول تتجمع حول جنكيزخان[1] الذي أعلن نفسه امبراطوراً عليها ، واجتاح الصين ، ثم اتجه غرباً ، فدخل أرض الإسلام ، وغزا خُوارزم ، وقتل من جيشها ١٦٠ ألف جندي ، ثم دخل بُخارى وأحرقها ، وسلب ، ونهب وسبى منها ما شاء له طغيانه ، ثم استمرّ في تقدّمه نحو الغرب ، فقاومته نيسابور ، فكان جزاء أهلها الذبح والقتل ، وبقي في تقدمه إلى ان

(١) جنكيز : كلمة مغولية معناها المحارب الكامل ، وخان كلمة مختصرة من خاقان التي تطلق على الملوك بين قبائل المغول والترك .

وصل إلى غايته المحتومة ، فخلفه ابنه ، فسار على خطة أبيه ، فغزا ما بقي من الصين ، ثم اتجه غرباً ، واكتسح روسيا ، وجعلها ولايةً مغوليةً في عام (٦٣٣هـ/ ١٢٣٥م) وكذا استولى على بولندا والمجر ، ولكن المغول انسحبوا من أوربا عندما حدث بينهم نزاع على العرش ، وأخيراً استولى مانغو على مقدرات المغول عام ٦٤٩هـ / ١٢٥١م ، فولى أخاً له على الصين ، وسيرَّ أخاه الثاني هولاكو ليغزو غربي آسيا فدخل بغداد وهدمها (٦٥٦هـ / ١٢٥٨م) وقضى على الدولة الإسلامية ، ووصل فلسطين ولكنه هُزم على أيدي المماليك في معركة عين جالوت ٦٥٨هـ / ١٢٦٠م ، وبعد هذه الهزيمة توقّف التقدّم المغولي وتجزّأت دولتهم إلى أجزاء ، يحكم كلاً منها خان مستقل ، اعتنق ديانة المنطقة التي يحكمها ، فاعتنق حكام شرقي آسيا البوذية ، ودخل خانات غربي آسيا وأواسطها في الإسلام .

وقام تيمور[1] يتزعّم التتار ، وكان أبوه طرغاي شيخاً تقياً ورعاً عرف بالزهد ، واستطاع تيمور أن يغزو خُوارزم ، وأن يوسّع رقعة دولته ، حتى غدت سمرقند عاصمة التتار تتبعها أقاليم واسعة ، وورث التتار امبراطورية المغول الشاسعة بعد حروب ومناورات ،واحتفظ تيمور لنفسه بلقب أمير ، وأقام خاناً من المغول من أحفاد جنكيزخان في سمرفند صورة أثرية ورمزاً لتحالف قديم بين

(١) ولد تيمور سنة ٧٣٦هـ - ١٣٣٦م في بلدة (كش) جنوب سمرقند بنحو ٥٠ ميلاً ، وقد عرف في التاريخ باسم تيمورلنك ويقصد منها تيمور الأعرج .

المغول والتتار ، وإن كان الأمر كله مرهـون بيد تيمـور . ثم اجتـاح فارس ، والعراق ، والشام ، وآسيا الصغرى ، وأسر الخليفة العثماني بايزيد ، وبالغ في إهانته وإذلاله ، وكذا دخل قسماً من الهند ، وكان يداوم على قراءة القرآن ، ويحافظ على الصلاة ، حيث كان يصلي دائماً في المسجد ، وأثناء الغزوات يصلي في مسجد متنقـل من الخشـب . ونتيجةً للحروب الضارية التي خاضها تيمور ضد أعدائـه ، والفتـن التي وجدها ، والمراوغة التي لاحظها من الأمـراء ، والمصائـب التـي حلّت به ، والنوازل التي آلت بأسرتـه ، ومصرع أبنائـه وأحفـاده في القتال والحقد الذي شُحن به على أهل السنة والجماعة من غُلاة التشيع وبقايا المجوس أن اعتمد تيمور على سفك الدماء ، وأصبحت صفة تلازمه ، حتى يروى أنه كان يقيم من الجماجم أهراماً ، وغدا لا يروي حقده إلاّ رؤية الدماء ، ولا يشفي صدره إلا القتل .

وبعد موت تيمور عام ٨٠٨هـ ـ ١٤٠٥م اختلف الأمراء من بعده على العـرش ، فتجـزّأت الدولـة الواسعـة ، واستحالـت قوتهـا إلى ضعف ، وبدأت الولايات تنفصل عنها ، والمناطق الخاضعة لها تتمرّد عليها ، بالانفصال تارةً وبالاستقلال أخرى ، ومنها روسيا التي تمرّدت على التتار عام ٨٨٥هـ ـ ١٤٨٠م على يد أمير موسكو الذي بدأ يسعى لتأسيس دولة قوية له ، ومنذ ذلك الوقت بدأت هذه الدولة الجديدة تظهر في العالم ، وتتضخم تدريجياً .

بعـد أن خضعـت روسيا للمغـول لم يبـق منهـا سوى بعض

الإمارات ، التي تحكم من قبل الروس تحت إشراف المغول ، وكانت موسكو أهم هذه الإمارات ، ولكنها كانت في الوقت نفسه تُؤدّي الجزية لهم ، وعندما شعر أمراؤها بالضعف الذي أصاب المغول ، انتفضوا عليهم ، بدأوا بالتوسّع نحو الشرق حيث لا يمكنهم التوسّع نحو الغرب لأن القبائل الجرمانية كانت في تلك الجهات ، وكانت ذات بأسٍ وقوةٍ ، ولم تستقرّ بعد .

وقد استطاعت الامبراطورية البيزنطية التي كان مركزها في القسطنطينية والتي لم تكن قد سقطت بعد وفُتحت للعثمانيين ـ وإن كانت محاطةً من كل الجهات بهم ومهددةً بالفتح في كل لحظة ـ استطاعت هذه الدولة العجوز أن تثير الصقالبة (الروس) ، وأن تنمي فيهم الروح الصليبية الحاقدة ، وتدعوهم لجمع الأراضي الروسية ، والانتقام من التتار الذين هم من المسلمين وإخوان للعثمانيين المسلمين الذين يهُدّدون عاصمة الدولة البيزنطية ومركز الأرثوذكس ألا وهي القسطنطينية .

ولم تمض مدة طويلة حتى سقطت الدولة البيزنطية وفتحت العاصمة أبوابها للمسلمين ، وقام الصقالبة في ناحيةٍ ثانيةٍ بردّ فعلٍ ضدّ المسلمين التتار ، وقامت الحرب الصليبية ، وتجلّت بشكل واضح في عهد إيڤان الثالث عام (٨٦٧ ـ ٩١١ هـ / ١٤٦٢ ـ ١٥٠٥م) الذي أخرج التتار من روسيا عام (٨٨٥هـ / ١٤٨٠م) ، ثم في عهد إيڤان

الرابع الذي سُمّي بالرهيب بسبب ما ألحق بالمسلمين من قتل وذبح وأذى ، وقد استطاع أن يضمّ المدن التتارية الكبرى إلى إمارة موسكو الواحدة تلو الأخرى ، فقد ضمّ مدينة قازان عام (٩٥٩ هـ - ١٥٥٢م) ثم مدينة استراخان عام (٩٦٣ هـ - ١٥٥٥م) .

ومن هنا يظهر أن أصحاب الفكرة الواحدة والعقيدة الواحدة يرتبطون بعضهم مع بعض ارتباطاً قوياً ، مهما بعدت ديارهم ، ونأت أقطارهم . وإن الأعداء يعرفون هذا معرفة لا داعي للشكّ فيها ، فيربطون أمورهم مع بعضها بعضاً ، حيث نرى أن العثمانيين المسلمين عندما انتصروا على الدولة البيزنطية النصرانية قام الصقالبة النصارى ينتقمون من التتار المسلمين ، بل عدّت دولة روسيا الجديدة نفسها وريثة لتلك الدولة التي زالت ، كما نصّبت نفسها حامية للأرثوذكس النصارى ، وقامت الحرب الصليبية واضحةً . وبدأت هذه الدولة الجديدة تحارب الإسلام ، وعّدت جميع المسلمين في أية بقعةٍ من الأرض مسؤولين عن تقويض الدولة البيزنطية وفتح عاصمتها القسطنطينية على يد العثمانيين . وقد طرد الروس من مدينة قازان جميع أهلها المسلمين عندما احتلّوها ، وذلك ليحلّوا مكانهم أبناء جلدتهم من الروس . وأثناء نزوح هؤلاء المسلمين انتشر الإسلام على أيديهم على طول الطريق التي سلكوها ، وبين جميع القبائل التي جاوروها ، مما زاد حقد الروس على المسلمين ، فهم يريدون ترويس الناس فإذا

بهم يعتنقون الإسلام ، ويبذل الروس المستحيل لدمج السكان وإدخالهم في المذهب الأرثوذكسي فإذا بهم يدخلون في الإسلام بمجرد أقل احتكاك مع المسلمين ﴿يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله مُتمّ نوره ولو كره الكافرون ﴾[1] . ويعتقد الروس أنه لا سبيل لهم في جعل السكان المسلمين روساً إلا إذا تركوا دينهم وتخلّوا عن الإسلام ، أن الإسلام ليس ديناً فحسب وإنما هو دين وعنصر في الوقت نفسه ، وهذا طبيعي فجنسية المسلم عقيدته ، وليس له من جنسية سواها .

واستمرّت هذه الحروب الصليبية من القرن العاشر الهجري إلى القرن الرابع عشر وكانت غايتها :

١ ـ الاستيلاء على أرض التتار .

٢ ـ تحويل السكان إلى سلاف .

٣ ـ محاربة الإسلام وفصل النواحي السياسية والاجتماعية والأخلاقية بعضها عن بعض .

٤ ـ الاستيلاء على القسطنطينية والسيطرة على المضائق .

وكانت تدفعها إلى ذلك ظاهراً أنها كانت تريد الاستيلاء على أرض التتار بحجة إيجاد مجالٍ طبيعي لهجرة السكان الذين يزدحمون في روسيا بينما تفتقر البلاد التتارية إلى السكان ، وإذا كانت الدول الأوروبية

(١) سورة الصف الآية ٨ .

الأخرى قد استطاعت أن تُؤسسّ لها مستعمراتٍ في إفريقية وما وراء البحار ، ولكنها هي لا تستطيع الوصول إلى مثل تلك المناطق بسبب انحصارها في مناطق منعزلة ، فلا تُشرف إلاّ على بحارٍ تتجمّد معظم أيام العام ، فلا يمكن الاستفادة منها ، وعلى هذا فليس لها من مجالٍ طبيعي إلا في المناطق الشرقية حيث بلاد التتار . وأما تحويل السكان إلى سلاف فإنما هو للوحدة الوطنية بين سكان البلاد ـ فيما يزعمون ـ ويعتقد الروس أن كلمة سلاف وإن كانت عنصراً إلا أنها تعني الدين أيضاً ، والمذهب الأرثوذكسي بشكل خاصٍ ، لذا يجب تحويل جميع السكان إليها ، وصبغتهم الصبغة التامة بكل ما تعني كلمة سلاف ، وإلا فلن تتم الوحدة الوطنية ولن يكون هناك تجانس بين السكان . وأما الاستيلاء على القسطنطينية والسيطرة على المضائق فذلك من أجل الوصول إلى المياه الدافئة الحرّة التي تستطيع بواسطتها الاتصال بالعالم الآخر .

أما واقع الأمر فهو الحقد الصليبي الصارخ الذي يُريد تخليص القسطنطينية من أيدي المسلمين وإعادتها عاصمة للدولة الأرثوذكسية ، وقد مر معنا كيف عدّ الروس دولتهم وريثةً لتلك الدولة التي انقرضت ، وكذلك الانتقام من التتار الذين يشتركون مع العثمانيين في عقيدة واحدة هي الإسلام .

أما الدول الأوروبية الأخرى فقد وقفت موقف المُتفرّج ، وقد سرها ما يحدث ، بل تعدّه من مصلحتها لما يلي :

١ - إن اتجاه روسيا نحو الشرق يُشكل فائدةً لها ، فهي لا تتجه نحو الاستعمار في مناطق النفوذ الأوروبي ، فلا تلقى منافسةً ولا تجد مزاحمة من صليبيي الغرب ولكنهم يقفون أمام الأطماع الروسية إذا حاولت الاتجاه نحو المياه الحرّة الدافئة .

٢ - إن حرب روسيا للمسلمين والضغط عليهم فيها مصلحة لبقية الدول الأوروبية الأخرى التي تُعادي أيضاً ، وتراه أكثر خطراً عليها من أي فكرة أو عقيدة أو اتجاه . ولهذا نراها تسكت عن كل تصرفٍ من هذا القبيل ، وتقف في وجه أي حركة إسلامية تقوم حتى في المناطق التي يسيطر عليها الروس أعداؤها ، والعداء بين الروس والدول الغربية خلاف سياسي وظاهري تقتضيه ظروف التنافس ومصالح اليهود الذين لهم دور في كلا النظامين وفي كلا المعسكرين .

وقد وجد الروس أنه لا قبل لهم بمحاربة الإسلام إلاّ بزعزعة العقيدة تدريجياً ، والفصل بين النواحي الأخلاقية والاجتماعية والسياسية عن الإسلام ، وبمجرد هذا الفصل يصبح الإسلام مجرد عبادات وطقوس لا معنى لها حيث أن الإسلام نظام واحد وتشريع كامل لا يمكن الفصل بين جوانبه المتعددة كما لا يمكن الفصل في الانسان بين الجسد والروح ، فإذا أخذت الروح بقي الجسد مادة هامدة ميتة ، وكذا الإسلام إذا نزعنا منه التشريع ، وأخذنا منه النظام ، وأهملنا الغاية من

العبادات فقد كل معنى ، ﴿ وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك ﴾[1] . وهكذا بدأ أعداء الإسلام في الداخل والخارج بإيجاد تنظيماتٍ وقوانين تخالف الإسلام في جوهره ، وادعوا أنهم لم يمسّوا الإسلام بشيء وها هي جماعات المسلمين تُؤدّي العبادات كاملةً ، وأنهم لم يعلنوا عليها الحرب ، ولكن إذا استقرّ لهم الأمر ، واستتبّ لهم الوضع أعلنوا الحرب عن الإسلام دفعة واحدة ، ومنعوا العبادات التي يتضايقون منها رغم أنها فقدت معناها منذ أن فصل بينها وبين جوانب الإسلام الثانية ، ومن هذه النظرة كان عمل الروس في الأقاليم الإسلامية التي استعمروها .

كانت هذه سياسة الدولة الروسية منذ أن ولدت حتى الآن ، لم تتغيرّ ، ولم تتبدّل ، رغم التغيير الجذري الذي طرأ على الحكم بعد الحركة الشيوعية عام (١٣٣٦ هـ - ١٩١٧) إلا أن السياسة العامة بقيت واحدة شأنها في ذلك شأن الدول الكبرى جميعها التي لم تتغيرّ سياستها ولم تتبدّل على مدى القرون الماضية على عكس من سياستنا المتبعة والتي تتغير تبعاً للمراحل التاريخية التي تمرّ بها! وحسب الأنظمة الطارئة والحكام الذين يتوالون على السيطرة وقد لا تزيد هذه المرحلة عن عدة أيام . وهذا في أكثر الدول ذات الأكثرية المسلمة .

وبعد أن قويت الدولة الروسية الجديدة ، بدأت بالتوسّع نحو

(١) سورة المائدة الآية ٤٩ .

الشرق والإغارة على البلاد الواقعة شرق جبال الأورال وذلك منذ عام ٩٨٨هـ - ١٥٨٠م وتمكنت من الاستيلاء على مدينة سيبر عاصمة التتار ، وسميت البلاد كلها والتي تقع شرق جبال الأورال باسم سيبيريا تذكاراً للاستيلاء على تلك المدينة . ولم تمض عشر سنوات حتى غزت نصف سيبيريا وضمّتها إليها ، وقد نفر السكان من هذا الاستعمار الروسي ، وقاموا بثورات متتابعة خلال التاريخ ، كان أهمها ثورة الباشكير ١١٨٧هـ (١٧٧٣م) ، وقد كانت تقمع هذه الثورات في كل مرة بمنتهى القسوة والوحشية ، وتهجير السكان وإنزال الروس محلهم . ولم يغمد سيف الروس عن المسلمين أبداً ، ولم يخفّف عنهم الظلم إلا عدة أشهر عام ١٣٢٣هـ وأثناء الحربين العالميتين بسبب ظروف الحرب .

وكان همّ روسيا محاربة الدولة العثمانية للانتقام منها وإظهارها بمظهر الضعف والانحلال والاقلال من هيبتها العسكرية وذلك لابعادها عن التدخّل في الحروب التي تشنّها روسيا على المسلمين في الجهات الثانية مثل آسيا الوسطى وغيرها . وفي النصف الثاني في القرن الثاني عشر بدأ الروس بضمّ المناطق الإسلامية لدولتهم المنطقة تلو الأخرى وابتلاعها نهائياً بعد أن ابتلعوا إقليم الفولغا - أورال ، وغربي سيبيريا . ففي عام ١١٩١هـ (١٧٧٧م) ضمت منطقة القرم ، وكذا ابتلعت جورجيا ١٢١٦ -- (١٨٠١م) ، ثم بقية مناطق قفقاسيا

١٢٨١هـ (١٨٦٤م) ، بعد أن قضت على مقاومة شمالي القفقاس من (الداغستان ، والشاشان ، والبلكار ، والشراكسة) بزعامة الشيخ محمد شامل ، وكذا آسيا الوسطى التي كانت في خلافات ، حيث غزا المنطقة وأخذها من خلفاء تيمورلنك قبائل الأوزبك والقوزاق ، والقيرغيز ، إذ ضعفت الحكومات التي أقامتها هذه القبائل وخاصة منطقة الأوزبك التي دفع سكانها بالقوزاق نحو الشمال ، وقامت في بلادهم عدة خانيات ، كان أهمها خيو ، وبُخارى ، وخُوقند ، وقد استطاع الروس ضمّ هذه المنطقة إليهم ، فوصلوا إلى فرغانة . واحتلوا بُخارى ، وسمرقند ١٢٨٥هـ (١٨٦٨م) ، واستولوا على خيوه على حين غرة عام ١٢٩٠هـ (١٨٧٣م) ، وعلى خوقند ١٢٩٣هـ (١٨٧٦م) ، وضمّوا إليها فرغانة لتُشكّل منها إمارة واحدةً ، كما غزا الروس وادي سيحون ١٢٦٣هـ - ١٢٨٠هـ واستولوا على طاشقند عام ١٢٨٢هـ ، وقد دافع التركمان عن (مرو) دفاعاً مستميتاً ولكنها سقطت أخيراً (١٣٠٢هـ) بأيديهم ، وبقي الروس في التقدّم نحو الجنوب الشرقي حتى وصلوا إلى بامير (١٣١٠هـ) هذا التقدّم السريع كان لأسباب منها :

١ - التجزؤ والتقسيم الذي أصاب المنطقة في تلك الحقبة من الزمن .

٢ - عدم التجانس بين السكان حيث كان معظمهم قبائل بدوية اعتنقت الإسلام بأوقات مختلفة ، فكان الإيمان على درجات متفاوتة ، فلم

يرسخ في نفوسها بشكل جيد ، ولم تثبت مفاهيمه بشكل واضح .

٣ - حب الزعامة والسيطرة حيث نجد بعض الحكام كانوا يتحالفون مع الروس ضدّ بعض الحكام الآخرين خوفاً منهم ومن سطوتهم ، وأحياناً يحدث الخوف من الدول المجاورة ، فيضطر الأمراء إلى تسليم بعض المناطق رغبة أو رهبة . وما حدث في آسيا الوسطى حدث من قبل في الأندلس .

٤ - عدم الاعتماد على الروح المعنوية ومحاولة التمسك بقوة المادة ، فلو كان الإيمان راسخاً في النفوس لما رضي السكان الذلّ ، ولو كانت القلوب عامرة بالإيمان لرفضت الخضوع ، ولو كان المسلمون متمسكين بحبل الله لما رضوا بالخنوع ، ولو اعتقدوا كما اعتقد الأولون من صحابة رسول الله ﷺ لما حلّ بهم ما حلّ . ولكن ضعف الإيمان في النفوس فضعف المسلمون أمام الأعداء ، وتركوا عقيدتهم فأذلهم الله . والمسلمون لا يُقاتلون إلا بقوة الإيمان ، ولا ينتصرون إلا بالروح المعنوية التي يحملونها بين جوانحهم ، ولا يكسبون المعارك إلا بنصر الله لهم الذي يتم إن نصروه ﴿ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز﴾[1] . وسيعود إليهم الحق بإذن الله إن تغيرّت نفوسهم وتبدّلت طباعهم ، واختلفت سرائرهم ، فاستلهموا الصبر من عقيدتهم ،

---

(١) سورة الحج الآية ٤٠ .

وطلبوا الفوز من بارئهم ، وأخلصوا نياتهم لله ، ونفذّوا أوامره ، وساروا على نهجه ﴿ إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾[1] .

وسيطر الروس على المنطقة كاملةً ، وبدأوا بتطبيق سياسةٍ مرسومةٍ تهدف إلى إبقاء المنطقة خاضعةً لهم ، وإبعاد المسلمين عن دينهم حتى يتمّ لهم ذلك . وكان أن قاموا بعدة أمور .

أبقى الروس المجموعات الإسلامية غير موحدة سياسياً ، ولا إدارياً ، ولا دينياً ، فكان القيصر يعين مفتي روسيا الداخلية ومفتي القرم (المناطق الغربية) ولم يكن لآسيا الوسطى مفتي واحد وإنما عدد من المفتين . أما على الصعيد السياسي فكان المسلمون يشكلون جزءاً من إمبراطورية روسيا كسائر شعوب الامبراطورية وكانوا خاضعين لأنظمتها إلا في المحميات ، (إمارة بُخارى وخانيه خيوه) ، وكان مسلمو تركستان ومركزها طاشقند والسهوب يخضعون للحكام العامين ، أما سكان القفقاس فيخضعون لنائب الملك ، وترك القبائل الرحل يخضعون لعاداتهم وتقاليدهم مثل القيرغيز والقوزاق .

وظل الاستعمار الروسي عسكرياً في جوهره ، لم يهتم إلا ببناء الحصون والمنشآت العسكرية ، بينما أهمل هذه المناطق الإسلامية إهمالاً لا يعادله إهمال آخر ، وسعى إلى ترك السكان في حالة من الجهل

---

(١) سورة الرعد الآية ١٢ .

والفقر والبؤس ، وأقام إلى جانب مناطقهم الخربة والتي سلب منها كل وسائل النمو والتطور وذلك بأخذ الأراضي والأملاك الجيدة التي تتبع إلى تلك المناطق الفقيرة،وبنى إلى جانب بيوتات السكان البسيطة منازل راقية لأبنائه الذين جلبهم من روسيا ، ولكن المسلمين رغم ضعفهم وفقرهم كانوا يشعرون دائماً بتفوقهم وأفضليتهم وذلك لانتمائهم للدين الإسلامي بالذات ، ومثلاً بعد أن نُظّمت العلاقة بين روسيا وبُخارى اخترق الإمارة خط حديدي روسي في عام (١٣٠٥هـ (١٨٨٧م) ولكن هذا الخط لا يمر بالمدن المهمة ومنها مدينة بُخارى بالذات ، وذلك حتى لا تستفيد هذه المدن ، بينما يبني الروس على الخط الحديدي منشآت لهم ، وكان هذا الخط يمر على بعد ١٥ كم من مدينة بُخارى حيث بنيت بعض الأبنية الروسية ، وسميت باسم بُخارى الجديدة أما اليوم فتعرف باسم « كاكان » ، أما بُخارى القديمة فقد وصلت بالجديدة بخط حديدي على نفقة أمير بُخارى .

وبدأت روسيا بإقامة بعض المصانع في بعض المناطق الإسلامية لتوفّر المواد الخام فيها وجلب العمال من روسيا ومن مختلف الأجناس وهذا ما أفقد بعض المدن الكبرى كل صبغة إسلامية مثل (باكو) و (المأأضا) و (كاراغنده) و (قازان) و(طاشقند) . وكان هؤلاء العمال يقيمون في أبنية ضخمة ، ويحيون حياة مرفهة حيث تقدم لهم جميع الوسائل اللازمة لذلك وكل الخدمات العامة . وظنّت روسيا أن

هذا يُشجّع السكان الذين يرون حياتهم البائسة أن يُطالبوا بالالتحاق بروسيا والسير على نهجها ، وقامت الهجرات الكثيفة من روسيا نحو آسيا الوسطى ، وكانت الحكومة تحلّ هؤلاء المهاجرين محلّ أبناء البلاد ، وتُعطيهم أراضيهم وأملاكهم ، وجلّ ما كانت تترك لهم إنما هو أغنامهم وحيواناتهم ، وتسمح لهم بالرعي والتنقل ، وكانت الغاية من ذلك زيادة عدد الروس في المنطقة وإضعاف نسبة السكان الأصليين من المسلمين ، ويكون دور هؤلاء المهاجرين الإشراف على المنطقة وإخبار الحكام عن كل تصرُّفٍ يحدث في المنطقة ، ومقابل هذا تُقدّم الحكومة أيضاً للمهاجرين الأيدي البيضاء فتمنحهم مزيداً من الأرض ، وتُغدق عليهم الوظائف العالية والأموال الوفيرة . وقام السكان يُناهضون هذه الهجرات الكثيفة من الروس إلى أراضيهم وخاصة القيرغيز ، ولكن منطقتهم دخلها الروس فجأةً عام ١٣٣٥هـ (١٩١٦م) وكان نتيجة ذلك مقتل ١٥٠ ألف رجل ، والقضاء على جماعات برمتها وفرار عدد كبير من أبناء القيرغيز إلى الصين .

وكان القانون القيصري يعد اعتبار اعتناق أي دين يخالف الكنيسة الأرثوذكسية في روسيا أمراً مُحرّماً، وبذلك توقف انتشار الإسلام. وقد خشيت الحكومة من احتكاك المسلمين بغيرهم وقد سبق لها أن رأت من أثر هذا الاحتكاك ـ وقد بقي هذا القانون ساري المفعول حتى عام ١٣٢٣هـ (١٩٠٥م)، وبعد ذلك أقامت الحكومة الجمعيات الدينية لحماية دينها ومذهبها واستبدلت الأحرف اللاتينية في المناطق التركية

بأحرف سلافية ، الأمر الذي سهّل في تعليم اللغة الروسية إجبارياً حيث فُرضت بالقوة بين عام ١٣٠٢ ـ ١٣٢٤ (١٨٨٤ ـ ١٩٠٦م) ، وأصبحت الأسماء روسية .

قامت الحرب العالمية الأولى (١٣٣٣هـ (١٩١٤م) ووقفت موسكو بجانب الحلفاء ضدّ ألمانيا . وقبل نهاية الحرب قامت الحركة الشيوعية في روسيا ١٣٣٦هـ (١٩١٧م) ، واستلمت زمام الأمر . ولكن الناقمين على الحكم الروسي استغلّوا الظروف الراهنة . وقاموا يريدون الاستقلال ، فقد كفاهم ما لاقوا من العذاب ، وهنا أسرعت الحركة الشيوعية فأعطت المسلمين شيئاً من الحرية الدينية . ولنعلم مدى الاضطهاد الذي كان يُلاقيه المسلمون يكفي أن نقول : إن هذه الحرية التي أعطيت للمسلمين موقتاً قد أعادت سكان مائة قرية من جوار قازان إلى الإسلام ، وكانت قد حملتهم الحكومة القيصرية على النصرانية قسراً منذ مائتي سنة وحولت مساجدهم إلى كنائس ، وأرسلت إليهم القسس ، وكانوا لا يزالون في الحقيقة مسلمين ، ولكن لم يقدروا أن يظهروا الإسلام إلا بعد أن سقطت الحكومة القيصرية ، فعادوا إلى الإسلام ، وأعادوا مساجدهم إلى أصلها . وعندما استتب الأمر للشيوعيين ، وسيطر الجيش الأحمر ، عادت عملية الاضطهاد السابق بل فاقته بمراحل لا تُعدّ ولا تُحصى ، وقضت على خان خيوه عام ١٣٣٨هـ (١٩١٩م) وعلى أمير بُخارى ١٣٣٩هـ (١٩٢٠م) لأنهما

حاولا الوقوف في وجه الوصاية الروسية . وقامت أعمال السلب والنهب تحت مصادرة المحاصيل الزراعية والماشية والثروات تطبيقاً للنظام الاقتصادي الجديد ، وحدث ما حدث من فظائع وجرائم وذبح بالملايين تحت اسم النظام الجديد للحكم .

هذه الأعمال جعلت السكان يتقبّلون أي دعوةٍ للقيام بالثورة ضدّ الحكم ، ولم تلبث أن اشتعلت بالفعل حتى عمّت أكثر مناطق تركستان وانضم إليها أنور باشا أحد زعماء حكام تركيا السابقين ، بعد أن أعلنت الهدنة بين الحلفاء والدولة العثمانية غادر كبار أعضاء جمعية الاتحاد والترقي البلاد باتجاه ألمانيا ، وكان منهم طلعت باشا[1] وأنور باشا[2] وجمال باشا[3] وجمال عزمي وبهاء الدين شاكر . . . وكان عددهم ثمانية . وفي القرم تابع سبعة منهم الطريق إلى ألمانيا حيث لم يجدوا بينهم أنور باشا الذي سار باتجاه القفقاس ، ولم يخبر أحداً على

(١) طلعت باشا : رئيس وزراء الحكومة الاتحادية في تركيا ، غادرها بعد إعلان الهدنة ، واغتاله أحد الأرمن في ألمانيا عام ١٣٤٠هـ (١٩٢١م) ، وكذا جمال عزمي ، وبهاء شاكر .

(٢) وزير الحربية في حكومة الاتحاديين ، غادر تركيا بعد إعلان الهدنة ، وقاد ثورة تركستان حيث استشهد عام ١٣٤١هـ (١٩٢٢م) .

(٣) جمال باشا : المعروف بالسفّاح غادر تركيا بعد إعلان الهدنة ، وذهب أخيراً إلى الأفغان فنظم جيشها وسافر منها لفرنسا وفي طريق عودته اغتاله الأرمن في تفليس عاصمة الكرج ، وكانت عودته عن طريق موسكو حيث قبضت عليه السلطات الروسية وخشيت من انضمامه إلى أنور ، ولكنه أنكر عمل أنور ووعد بالذهاب للأناضول وفي الطريق لقي مصرعه ، ويُقال إن الروس كانوا وراء اغتياله .

عادته في كتمان سرّه ، ولكنه لم يصل إليها واضطر للعودة إلى ألمانيا ، وبعد انتقال بين ألمانيا وروسيا عدة مراتٍ اتفق مع الروس على معاداة الحلفاء ، ووعدوه بتقديم المال والسلاح ، وكان بينه وبين مصطفى كمال حاكم تركيا جفوة ، فقد راسل مصطفى كمال الروس ، وطلب منهم عدم مساعدة أنور باشا ، وكان الروس يريدون البقاء على أنور تهديداً للحلفاء وخاصة انكلترا ، ومراقبةً لمصطفى كمال فإذا خرج من أيديهم رموه به .

كان أنور باشا يحذر الروس ويحذرونه ، وقد نُصح بمغادرة موسكو إلى ألمانيا أو إلى بلاد الأفغان ، حيث راسله ملك الأفغان أمان الله خان ، وقدم له أعلى الرتب في الدولة ومنحة ماليةً كبيرةً ولكنه رفض . وعندما يئس أنور من مساعدة الروس أضمر لهم العداء ، وفتح أذنيه لأقوال المسلمين التتار الذين كانوا يشكون إليه الروس وما فعلوه بهم ، ونكثهم بوعدهم الذي قطعوه على أنفسهم بإعطاء المسلمين استقلالهم ، وعودتهم إلى السياسة الروسية القيصرية السابقة في الضغط على المسلمين .

أراد أنور أن يتخلّص في مقرّه في موسكو الذي لا يزيد على السجن في حريته ، فأظهر لهم أنه يُريد القتال إلى جانب الأتراك الذين انهزموا أمام اليونان[1] ، فصدّقوا كلامه ، وسمحوا له بمغادرة موسكو ، فخرج

(١) اليونان : كانوا بجانب الحلفاء ويشاركونهم في معاداة الروس .

إلى باطوم[1] ، يترقّب الأحداث ، حتى إذا انتصر الأتراك على اليونان في معركة سقاريا ، ترك باطوم في (آب ١٩٢١) ، ذي الحجة ١٣٣٩هـ ، وولى وجهه شطر تركستان ، ولم يعلم الروس خبر سيره إلا بعد عدة أيام ، وقد وصل إلى بُخارى ، وعضد الحزب الأميري فيها ، وبطش بدعاة الشيوعية ومؤيديهم ، وصار الأمر كله بيده ، وانضّم إليه سواد الأمة ، وأرسل صورته بالزي البخاري إلى أهله في برلين ، وكان يريد استقدام زوجته عن طريق الهند أو افغانستان . ثم مدّ حركته إلى خيوه وفرغانة ، فعمت الثورة تركستان ، وانتصر على الشيوعيين ، حتى دعوه إلى الصلح ، ولكنه رفض أن تُملى عليه شروط تُضيع أي حق للمسلمين في تركستان ، فأكثروا عليه الجموع ، فاعتقد بنهايته ، وأرسل إلى زملائه في ألمانيا وصيةً بتعهد أسرته . وهاجمه الروس حتى تراجع ، فخاف عليه ملك الأفغان فدعاه للقدوم عليه ولكنه رفض . وكان قوام جيشه ٥ آلاف مُقاتل ، وعدد المهاجمين ثمانون ألفاً . وفي اليوم الأول من عيدالاضحى عام ١٣٤١هـ هاجمته الخيالة الروس ، وأثناء القتال سقط عن جواده وخرّ صريعاً بعد أن استسلمت له فرقة كاملة من الأعداء ، وكان ذلك في يوم ٤ آب ١٩٢٢م . وقد دامت ثورته أحد عشر شهراً كاملاً . ولم يُصدّق المسلمون خبر استشهاده حتى أعلن ذلك الاميرالاي علي رضا بك

(١) باطوم : مدينة قفقاسية على ساحل البحر الأسود ، انتقلت من أيدي العثمانيين إلى الروس عدة مرات ، وهي الآن في ظل الاستعمار الروسي .

نائب أنور باشا بتصريح في الجرائد الهندية جاء فيه « مضى زمن على شهادة الغازي أنور باشا الذي كان يجاهد لتحرير تركستان ، فهو اليوم ليس في أفغانستان ولا في إيران ، ولا على حدود الهند ، بل انتقل إلى جوار ربه الذي جاهد لمرضاته بما له ونفسه ، وقد انتقلنا نحن بعد هذه الفاجعة إلى كابُل وعسى أن نرجع قريباً إلى أنقره ، فرجاؤنا من مسلمي الهند أن لا يجدّدوا أحزاننا بنشر الأخبار الكاذبة بل أن يسألوا الله تعالى له المغفرة والجنة »[1] .

أما تركستان من الناحية الإسلامية فرغم تأخر المنطقة فقد كانت زاهرةً بالعلم ، زاخرةً بدوره ، عامرةً بالمكتبات ، كثيرة المساجد . ففي سمرقند كان يوجد ١٦٥ مسجداً ، وفي بُخارى ٣٦٠ مسجداً ، وكانت تركستان مُتمسّكة بالتقاليد الإسلامية أكثر من القفقاس وغيرها . وكانت أكثر ثقافة من باقي أجزاء الامبراطورية الروسية ، سوى قازان التي كانت تفخر بجامعتها الإسلامية ، ومكتباتها ، ومدارسها ، ومطبعتها التي تقدّم المصاحف الشريفة ، وكان فيها عام ١٣١٨هـ (١٩٠٠م) معلمة لكل ١٢ فتاة تتارية بينما كان في بقية أجزاء الإمبراطورية معلمةً لكل ٥٥ فتاة ، كما كانت هناك صحف باللغة التتارية .

وتأخّر تأميم الأوقاف ، وتمّ على مراحل حتى عام ١٣٤٧هـ

(١) حاضر العالم الإسلامي ـ ترجمة عجاج نويهض تعليق شكيب ارسلان .

(١٩٢٨م) ، وسمح بالإبقاء على الهيئات الدينية ، وحُوّل ٧٠٠ مسجد في بلاد التتار و٥٠٠ مسجد في القفقاس إلى مواخير واصطبلات وأندية ، كما حُوّلت المدارس الدينية ، وجامعة سمرقند إلى نادٍ للملحدين ، وألغيت أيام الجمع والأعياد الدينية ، وقضت على سلطان غالييف التتاري الذي ظنّ طيلة عشرة أعوام أنه واجد في نظام الحكم الجديد الوسيلة التي يُرضي بها آماله القومية والثورية ، وقد كُمّت الأفواه ، وأصبحت عقوبة القتل لكل كلمة مهما كانت صغيرة لا تُرضي الحكام ، ونعتت كل حركة بالرجعية والصلة بالغرب والقضاء على المكتسبات التي حصل عليها الشعب ، وبقي الوضع حتى حصلت الحرب العالمية الثانية .

قامت الحرب العالمية الثانية عام ١٣٥٨هـ (١٩٣٩م) ، ووقفت روسيا أيضاً بجانب الحلفاء وضدّ ألمانيا ، وأبدى الروس أثناء هذه الحرب بعض التسامح ، وخففّوا الدعاية المناهضة للإسلام ، وسمح للطوائف الدينية أن تبني بعض المنشآت الدينية على حسابها الخاص ، ونجحت ألمانيا في بداية الحرب ، وسيطرت على مناطق واسعة ، واحتلّت فيما احتلت جزءاً من روسيا ، وهذا ما جعل حكام روسيا يقفون من المسلمين موقفاً حسناً ، فسمح بتعليم القرآن ، وإنشاء أربعة مراكز إسلامية جديدة ، عهد بها إلى مفتيين ، وكانت هذه المراكز في طاشقند ، وأوفا ، وباكو وبونايسك . وقد قاتل في صفوفهم أكثر

من مليون مسلم ، وبالمقابل فقد هرب كثير من المسلمين الذين ضاقوا ذرعاً بالحياة ، وفقدوا كل أمل في الصبر ، والتجأوا إلى الأعداء . وقد شكلت ألمانيا من هؤلاء الفارين ومن المسجونين لديها أربع فرق ضمّت أكثر من مائتي ألف مقاتل حاربت بجانب ألمانيا ضدّ الروس وذلك ليثأروا بقسط ضئيلٍ مما لاقوا من العذاب والاضطهاد والاهانة ، ولكن الحرب انتهت ، ووقفت كفة النصر بجانب الروس .

انتهت الحرب العالمية الثانية عام ١٣٦٥هـ (١٩٤٥م) ، وبدأ الانتقام من المسلمين ، وبدأت المجازر عام ١٣٦٥هـ (١٩٤٦م) في ٢ كانون الثاني ، وقصفت القرى الإسلامية في القفقاس ، وأبيد بعضها وذلك لمقاومتها التدابير الزراعية ١٣٤٨هـ (١٩٢٩م). كذا بدأ قلب الحقائق ، وأظهرت الدعاية أن الشيخ شامل مظهر من مظاهر الاقطاع وذلك لأنه قاوم الحكم الروسي رغم الاختلاف الجذري بين الحكم السابق والحكم الحالي ، ولا تزال هذه السياسة مستمرة إلى الآن ما عدا تغيير النظرة الستالينية ، وكان من نتيجة هذا التغيير أن أعيد الششن بشكل منتظم ، وأعيد تشكيل جمهوريتهم وذلك عام ١٣٧٧هـ (١٩٥٧م) .

ولكن هذه القسوة في السياسة إن استطاعت أن تقضي على مظاهر الإيمان لكنها لم تستطع مطلقاً أن تمسّ حقيقته بشكل جوهري إلا عند أصحاب النفوس الضعيفة التي انساقت وراء عواطفها وشهواتها

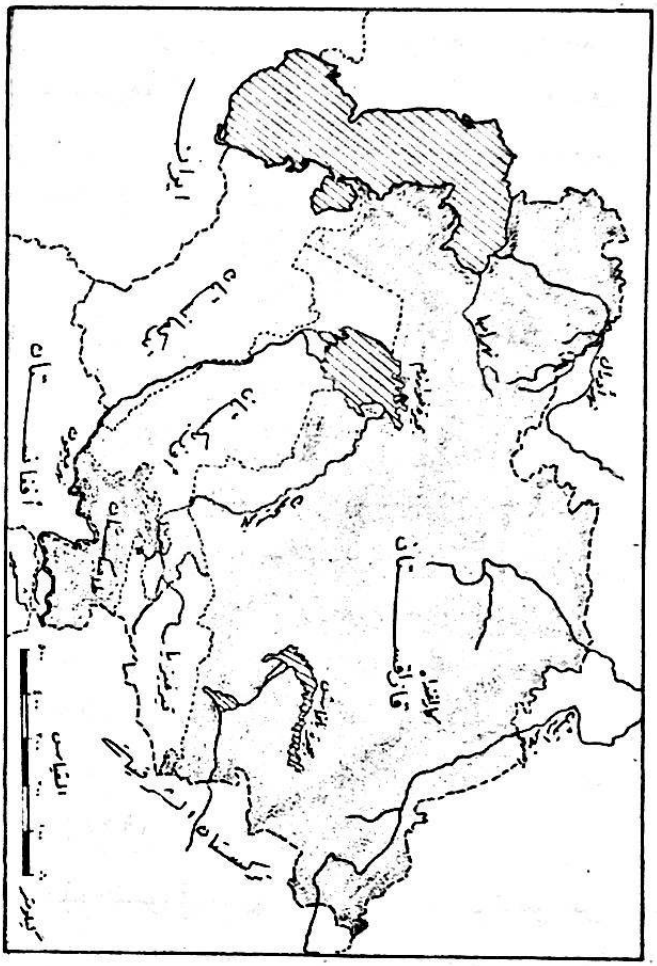
ايران
افغانستان
باكستان
الهند
مقياس

وشهرتها ، وتظهر حقيقة الإيمان بين الفينة والأخرى وخاصة في هذه الأوقات ، فنجد كثيراً من الشباب الآن يناقشون المدرسين لا في سبيل الوصول إلى نتيجة وإنما مجرد الازعاج ، كما صرح بعضهم بأن الإيمان قد دخل إلى نفوسهم نتيجة محاربة الإيمان والدعاية للإلحاد ، وقد طلب بعضهم الآخر مصاحف من الطلاب المسلمين الغرباء الذين يدرسون هناك ، ولكنهم لا يجرؤون الإعلان عن ذلك ، وكثيراً ما أعلن الواحد منهم عندما تأخذهم الحماسة عن وجود قرآن كريم في بيته وهذا منتهى الجرأة والصراحة ، حيث يُؤدّي هذا الكلام إلى إقلال كل قيمة لهذا المتكلم إن لم يصل إلى السجن أو القبر ، ومن هذا القبيل روت صحيفة « كومسومو لسكايا برافدا » إن وفاة طالب ثانوي في الصف التاسع كشف النقاب عن وجود مدارس دينية إسلامية سرية في آسيا الوسطى . فقد توفي « دوليه اصلانوف » أخيراً بمرض في جمهورية تاجاخستان ، بعد أن رفض مساعدة الطبيب قائلاً : « لا أريد مساعدة من ملحد ، فكل شيء بيد الله » ، ثم توفي وهو يشتم غير المؤمنين . ومضت الصحيفة تقول إن المسؤولين الشيوعيين صدموا أمام هذا الموقف خصوصاً أن الشاب عضو في « الكومسومول » أي رابطة الشباب الشيوعي ، ثم قالت الصحيفة : « ثم تبيّن أن اصلانوف العضو في الكومسومول منذ بضع سنوات ، كان يحضر الدروس في المدرسة الثانوية الحكومية ، ثم يحضر دروساً أخرى في مدرسة دينية إسلامية حيث كان يعدّ من أفضل الطلاب . وقد توجّه أحد المحققين

لجلاء قضية المدرسة السرية ، فانتهى إلى مقهى لتقديم الشاي في مزرعة « جدانوف » التعاونية حيث توجد أربعة صفوف من المراهقين ، يتعلمون هناك اللغة العربية والآيات القرآنية ، ولكن حين اقترب المحقق من المكان سمع صفيراً خفيفاً ، فلما دخل المحقق وجد الطلاب يشربون الشاي ، وقد اختفت من بين أيديهم الكتب الدينية وأجزاء القرآن ، وقالت الصحيفة إن أولاد المزرعة التي معظم سكانها من المسلمين ، كانوا يقضون عدة ساعات يومياً في تعلم القرآن . وختمت الصحيفة مقالها بما يلي : « وهكذا فإن الأيدي القذرة لهؤلاء المشايخ المشردين تتولى تكوين طباع الأطفال »[1] .

(١) جريدة الحياة العدد ٥٦٧٦ السبت في ١٠ تشرين أول سنة ١٩٦٤ .

النشاط البشري

تقع آسيا الوسطى في داخل تلك القارة الواسعة في منطقة تحيط بها الجبال فتحجزها عن رياح البحر ، وتحجب بالتالي عنها الأمطار ، كما يحدث هذا لبعدها عن المحيط ، وإذا وصلت إليها الرياح البحرية فإنها تكون قد فقدت معظم حمولتها من بخار الماء .

وتقع المنطقة بين خطي عرض ٣٥ ـ ٥٥ شمال خط الاستواء ، وهذا ما يجعلها تقع ضمن مناخ البحر الأبيض المتوسط في جزئها الجنوبي ، بينما يقع جزؤها الشمالي ضمن مناخ المناطق الأوروبية الداخلية ، وتهطل الأمطار من بقايا هذين المناخين صيفاً في القسم الشمالي ، وشتاءً في القسم الجنوبي ، وعلى كلٍ فهي لا تزيد على ٢٠٠ مم سنوياً ، مما يجعلها تقع ضمن المناطق الجافة والصحراوية ، وتسبب هذه الكميات من الأمطار نمو الحشائش التي يطلق عليها اسم استبس[١] ، وفي المنطقة بعض المجاري المائية التي تتغذى من الجبال المرتفعة المحيطة بالمنطقة ، والتي تتلقّى مزيداً من الأمطار ، ومن

(١) الاستبس : تسمية روسية تُطلق على الحشائش القصيرة التي تنمو في المناطق المعتدلة .

ذوبان الثلوج المتراكمة على تلك الجبال ، هذه المجاري جعلت الحياة تقوم على ضفافها ، وعلى طول مجاريها حيث يُسايرها شريط من الخضرة ، وهناك بعض الينابيع البسيطة في المنطقة التي قامت حولها المدن والقرى ، فكانت واحات منتشرة في قلب تلك المنطقة الجرداء ، وهذا ما جعل سكان المنطقة منذ القديم قسمين : بدو يرعون في مناطق الاستبس ، وينتقلون وراء حيواناتهم . وحضر يسكنون الواحات ويستثمرون الأراضي التي تطالها مياه الواحات والأنهار .

وتقوم زراعة الأشجار والثمار في الأودية الجبلية كما هي الحال في وادي فرغانة ، وفي الواحات ، وعلى ضفاف المجاري المائية ، ويساعد على نمو الفاكهة في هذه المنطقة الحرارة في المنطقة الواقعة على الدرجات القليلة العرض . كما يمكن زرع المزروعات الجافة كالقطن وغيره ، ويساعد على ذلك التربة اللحقية الغنية المؤلفة من المجروفات المُتجمّعة في تلك الحوضة ، والملائمة كثيراً للزراعة .

ومع التقدّم الحضاري الذي كان نتيجة التقدّم العلمي دفع بالتطوّر الزراعي أشواطاً نحو الأمام ، فاقيمت المشروعات الاروائية ، ومُدّت الأقنية ، مما أسهم في زيادة الإنتاج وأصبح القطن وكذا الفاكهة من الموارد الرئيسية المهمّة ، وخاصة أن روسيا المزدحمة بالسكان ، والتي لا تتوفّر فيها الأرض الواسعة الملائمة لهذه الأنواع من الزراعة بسبب قلة الحرارة ، وهذا ما جعل الاهتمام يتّجه نحو هذه المنطقة من إنتاج هذين

النوعين من الزراعة ، وغدت المنطقة ذات أهمية واسعة بهما ، ويضاف إليهما زراعة الحبوب ،والشمندر السكري .

وكذا فإن التقدم الحضاري دفع بالأمم لاستثمار الثروات المعدنية الدفينة في باطن الأرض ، وكانت المنطقة ذات موارد هائلة بمعدن الكروم ، والرصاص ، والنحاس ، والتوتياء ، إضافة إلى الحديد ، والذهب ، والفضة وغيرها كثير ، بل لتُعدّ المنطقة أغنى مناطق إمبراطورية روسيا ونتيجة لسياسة التصنيع الروسية في المنطقة نقل عدد كبير من الروس إلى المنطقة كما مر معنا وخاصة في المدة الواقعة بين ١٣١١ ـ ١٣٢٨هـ (١٨٩٣ ـ ١٩١٠م) . فإن المنطقة أصبحت أيضاً ذات أهمية صناعية فائقة ، بسبب توفّر المواد الخام والطاقة ، وتضمّ هذه المنطقة في أراضيها أكثر من نصف النحاس ، والرصاص ، والتوتياء ، الموجود في إمبراطورية روسيا ، كما تعدّ أولى مناطق العالم بإنتاج معدن الكروم هذا إضافة إلى بقية المعادن الموجودة . هذا إضافة إلى الطاقة من الفحم المتوفّر في قازاقستان ، والنفط الموجود في قازاقستان وفي تركمانستان .

كما تربي المنطقة أكثر من ربع الماشية في الامبراطورية. وأعظم الثروات موجودة في جمهورية قازاقستان .

السكان :

يبلغ عدد المسلمين في تركستان أكثر من ٣٥ مليون نسمة على أصحّ

التقديرات ، وإن كانت الاحصاءات الروسية تُعطي أرقاماً أقل بكثير من هذا العدد ، بحيث لا يزيد على ١٥ مليون نسمة بل الاحصاءات الروسية نفسها تعطي أرقاماً تتناقض بشكل مستمرٍ مع مرور الزمن ، وموت القضية التركستانية ، وتناقص المعرفة المستمرة عنها ، على حين أن السكان في أية بقعة من العالم في ازديادٍ دائمٍ ، وهذا التناقض يدلّ على نيةٍ مبيتةٍ لإضعاف القضية أو القتل الجماعي الذي لم ينته بعد ، والتهجير الدائم أو هذه الأمور مجتمعة ، فقد كان الأتراك في إمبراطورية روسيا حسب الاحصاءات الشيوعية :

عام ١٣٣٩هـ (١٩٢٠م) ٣٠ مليون نسمة.ثم بقي هذا العدد

عام ١٣٥٨هـ (١٩٣٩م) ٢٥ مليون نسمة . ثم اصبح

عام ١٣٧٩هـ (١٩٥٩) ٢٣ مليون نسمة ثم بقي بعد حكم ٤٠ عاماً أي في عام ١٣٨٣هـ (١٩٦٣م) ١٣١٠٠٠٠٠ نسمة . ويبلغ عدد المقيمين في تركستان منهم ١١٩٧٧٠٠٠ نسمة .

وإذا كان الروس قد نفوا إلى مجاهل سيبيريا أعداداً كبيرةً من المسلمين للعمل هناك ، ولكن يبقى عدد السكان في تركستان أكثر من ٣٥ مليون نسمة ، وإن إنقاص هذا العدد حسب أقوال الروس لغاية في النفس هي تقليل أهمية المسلمين القاطنين في امبراطورية روسيا ، ولإبعاد التفكير في تأسيس جمهوريةٍ واحدةٍ في تركستان ، حيث تحرص روسيا كل الحرص لتقسيم هذه المنطقة .

هذا مع العلم أن نسبة تزايد المسلمين تفوق نسبة أي أمة أخرى أو أصحاب أي عقيدة ثانية وهذا أمر معروف بشرياً في كل جهات العالم عند أصحاب الاختصاص والدراسات العلمية .

بعد أن استولت الكتيبتان السيبيريتان الأولى والثانية على الحكم في طاشقند بمؤازرة ٤٠٠ عامل من عمال السكك الحديدية ، وذلك في ٢٨ محرم ١٣٣٦هـ (١٤ تشرين الثاني ١٩١٧) ، قامت هناك حركات وطنية غايتها الانفصال عن روسيا وتأسيس دولة واحدة ، وأهم هذه الحركات حركة الجهاد التي أطلق عليها الروس اسم (البصمه جي) ويقصد بها قطاع الطرق ، ومع الأسف عمّت هذه التسمية ، وأصبحت تستعمل عند بعض الكتاب . واضطرت روسيا على أثرها لاعادة احتلال تركستان في ١٥ ذي القعدة عام ١٣٣٧هـ (١٥ آب عام ١٩١٩م) واستمرت حركة الجهاد حتى عام ١٣٤٢هـ (١٩٢٣م) . وقد أمر لينين بنفسه لجنة تركستان في ٢٥ رمضان عام ١٣٣٨هـ (٢٣ حزيران عام ١٩٢٠م) بإيجاد الطرق الكفيلة بتقسيم تركستان إلى خمس جمهوريات حتى تبقى للروس السيطرة على المنطقة كاملةً بعد تجزئتها إلى وحداتٍ صغيرةٍ . وقد بُذلت مساعٍ واسعة للمحافظة على وحدة تركستان ، ولكن باءت كلها بالفشل ، وعُدّ كل من سعى لهذه الوحدة خائناً ، وأن له آراء خاصة بعيدة عن المنطق ، حتى ولو كان من أنصار الحكم الشيوعي فإنه يبعد ويكون مصيره ما يكون .

إن روسيا لا يمكنها أن تقبل أن يكون بجانبها حكومات مستقلة

سواء أكانت صغيرة أم كبيرة ، فبعد أن احتلت إمارة بُخاري ، وإمارة خُوارزم ، وأصبحتا إمارتين تحت حماية روسيا ، وعقدت معهما اتفاقيتين ، في ٦ رجب ١٣٣٩هـ (١٤ آذار من عام ١٩٢١م) عقدت روسيا معاهدة مع إمارة بُخارى ، ثم عقدت معاهدة مع إمارة خوارزم في ١٠ محرم ١٣٤٠هـ (١٣ أيلول من عام ١٩٢١م) ، واعترفت روسيا في هاتين المعاهدتين باستقلال الإمارتين السالفتي الذكر ، ولكن لم تمض مدة قصيرة حتى بدا أن هاتين المعاهدتين لم تروقا للروس ، وإنما يجب ضمّ الإمارتين إلى جسم الدولة الروسية وابتلاعهما ، فقد كتب القنصل العام لجمهورية روسيا السوفييتية الرفيق كوغورنوف رسالة إلى رئيس جمهورية بخارى الشعبية السيد عثمان خوجا يطلب منه وضع الوحدات العسكرية التابعة للحكومة البخارية تحت سيطرة الحامية الروسية ، ولم يمض يومان حتى قام بزيارة إلى الجمهورية ولكن أثناء هذه الزيارة أعلن السيد علي رضا وزير الحربية في حكومة بُخارى « أن موجة جديدة من الثورة قد ظهرت في جمهورية بُخارى ، وقد انتشرت في جميع أرجاء تُركستان ، وقضت على السيطرة الروسية فيها ، ثم أعلن رفض نقل السيطرة على قوات بُخارى المسلحة إلى عهدة الحامية السوفييتية ، ثم أصرّ على ضرورة تخليّ السوفييت عن الحاميات التي يُسيطرون عليها ، كما أنه قد جاءت قوات عسكرية تركية بقيادة أنور باشا[1] وزير حربية الدولة العثمانية أثناء الحرب

(١) سبق أن ألمحنا في هذا الكتاب كيف وصل أنور باشا إلى تُركستان وعن الدور الذي قام به هناك .

العالمية الأولى وأحد أعضاء جمعية الاتحاد والترقي البارزين واحتلّ بعض المناطق في بُخارى كمساعدة لحكومة بُخارى التركية » .

ولم يمض وقت طويل حتى أضاعت بُخارى وخُوارزم استقلالهما في عام ١٣٤٣هـ (١٩٢٤م) بعد قيام حملة سوفيتية واسعةٍ ، وأُدمجتا بعد تقسيمهما في جمهوريات أوزبكستان ، وتُركمانستان ، وطادجكستان .

ومهما ادّعى الروس وغيرهم ممن يرون رأيهم أن منطقة تركستان قد دخلت في ظل الحكومة الروسية طوعاً لا كراهية وسلماً لا حرباً وذلك بفضل الشيوعيين وأنصارهم ، فإنا نقول إن هذا عارٍ عن الصحة تماماً وهو مجرد دعاية يرفضها منطق الحوادث ، ويكذبها التاريخ ، فلم يكن هناك من حزب شيوعي في تركستان ، وإنما كان أفراد لا يزيد عددهم على ٦٤ عضواً ، وهذا العدد لا يمكن أن يُؤثّر في موضوع الحكم ، ولايمكن أن يكون له رأي يُؤبه به ، وأما أن يكون أهل تركستان قد سلموا بلادهم لغيرهم ، ولأعدائهم حباً ورغبةً فهذا ما لا يقبله إنسان ، وإنما سلّموا بلادهم بعد أن أُجبروا على ذلك بقوة السيف ، وخلّفوا على ثراها شهداء كراماً أسماؤهم تدحض الدعاية الشيوعية ومفترياتها ، وأعدادهم تحُذّر كل شعبٍ من الوقوع في هذه الدعاية ، كما أن أهل تركستان قد قاموا بعدة ثورات ليستعيدوا مجدهم ، ولكن القوة المادية كانت أقوى من الإيمان المزعزع والجهاد الفاقد المعنى ، والمسلمين النيام عن إخوانهم ، والمتفككين بأمصارهم ، والمشتتين بأفكارهم .

وقد أجبر الفلاحون على الانخراط في سلك المزارع الجماعية ، وطُبّقت الأفكار الشيوعية عليهم رغم أنوفهم ، ونُفّذت آراؤها سواء أرغبوا في ذلك أم خالفوا ، وتعلّموا اللغة الروسية بصورة إجبارية ، ومع ذلك تردد الدعاية صباحاً ومساءً أن كل ما يحصل إنما هو برأي الشعب وإرادة الشعب ورغبة الشعب ، فكيف يموت الشعب برأيه ؟ وكيف يُسجن ، ويقوم بالأشغال الشاقة وينفى إلى مجاهل سيبيريا برأيه ؟

ويعيش المسلمون اليوم وراء حدود الستار الحديدي عيشةً لا نعرف عنها إلا النذر اليسير ، بل لا يعرف أحد عنهم خبراً شافياً ، ولا يعرفون هم عنا شيئاً ، حيث انقطعت أخبارهم عن العالم الخارجي ، وقطعت أخبار العالم عنهم مذ أصبحوا يرزحون تحت وطأة الحكم الأحمر . وليست حياة السكان هي التي نجهلها فقط بل حتى الأرض التي يقطنون عليها أصبحت دراستها مهملة منذ أصبحت ملحقةً بالأرض الروسية رغم أن هذه المنطقة قد ارتبطت حقبة من التاريخ ليست قصيرةً بالأمة الإسلامية ، وكانت تُسيرّ إليها الولاة من دمشق أو بغداد ، وتدفع بأبنائها إلى أرض النور ليغرفوا من منهل العلم حتى أنجبت لنا شخصيات كريمةً لا نزال نتغنّى بأسمائها ولا تزال هي شعلةً تنير لنا الدروب ، دروب العلم والدراسة ، ودروب التفقه والتبحر في العلوم ، فكانوا أئمة العلم ، والأدب ، والحديث ، والتفسير ، والفقه ، ولم يكونوا بعدد يسهل ذكرهم في هذا المجال .

ودراسة مثل هذا الموضوع لا شك فيها شيء كبير من الصعوبة لا يعود فقط لبعدنا عن المنطقة وجهلنا لها واعتبارها جزءاً صغيراً من أرض مترامية الأطراف ، بل كادت المكتبات تنضب عن أي شيء يتعرّض لهذا البحث من قريب أو بعيد ، وإلى اختلاف الحدود المصطنعة التي أوجدها الضعف والتفرقة أو أقامها التخلُّف والتجزئة ، وبناها ضعف الإيمان ، فتقطّعت الأشلاء وتفكّكت الأوصال ، وأصبحت المنطقة مجزّأةً يتبع بعضها إيران ، وقسم في بلاد الافغان ، ويخضع الجزء الاكبر للاستعمار الروسي ، والذي يُشكّل عقبةً كُبرى في دراسة المنطقة عدم صحة المعلومات الرسمية التي تُصدرها الحكومة المشرفة ، والسيف المسلط على رقاب السكان مما يمنعهم التصريح عن أي شيء مهما قلّت قيمته ، إضافةً إلى أن الأسماء قد تغيرت خلال حقب التاريخ فلا المناطق بأسمائها ولا المدن بمسمياتها وأوصافها .

وقد حصل هذا التغيير بعد قيام الحركة الشيوعية التي حاولت تغيير معالم المنطقة كاملةً . وهي الطريقة التي تتبعها في كل المناطق التي تُسيطر عليها ، حيث تعدّ تاريخ المنطقة يبدأ منذ بدء السيطرة الشيوعية ، أما قبل ذلك فيعدّونها مرحلةً من الحياة البدائية التي يجب ألا تُؤخذ بعين الاعتبار ، مهما كانت قيمة الحضارة التي أنتجتها ، وأصبحت المدن تأخذ أسماء جديدة هي أسماء الرجال الذين سفكوا فيها الدماء وأقاموا فيها المذابح . ولا يستطيع سكان البلاد أن يُشاركوا

في قضايا البلدان الإسلامية حيث كُبلت أيديهم ، وأُخرست ألسنتهم ، إضافة إلى جهلهم بكل قضية في الخارج وحتى في الداخل ، كما لا يستطيعون أن يُسمعوا أصواتهم حيث حالت المدافع دون إسماعنا لها ، وإن كنا نحسّ بأصوات اليتامى ، كما نشعر بالأرامل تسبح في دماء أزواجهن .

وأعتقد أن أولئك الذين يحصرون أنفسهم في مناطق الضاد إنما يحرمون أنفسهم من مساعدة المسلمين الجادة في جميع مناطق العالم ، كما يحرمون انفسهم وحضارتهم من جزء كبير من تراثهم العلمي والفكري ، وإن ادعاءهم أحياناً بارتباطهم بالعالم الإسلامي إن هي إلا تغطية لوضعهم خوفاً من الشعوب الإسلامية .

وليس من الغريب أن نرى الغرب عندما يُريد مهاجمة الشيوعية إنما يهتم بالعاطفة الدينية لدى المسلمين مُستغلاً ذلك الأمر استغلالاً ، وفي الوقت نفسه يهاجم المسلمين وينعتهم بالتعصب ، ويظهر ذلك من خلال أبحاثهم ، وأنهم متفقون مع الشيوعية على مهاجمة الإسلام ، فكلا الرأسمالية والشيوعية دعوة مادية بحتة تناقض الفكر الإسلامي ومبادئه ، كما لم نر الغرب قد أثار قضية المسلمين في إمبراطورية روسيا ولو مرة واحدة ، فالنظام الإسلامي أشد عداء لهم من الشيوعية بما لا يقاس .

إن $\frac{٩}{١٠}$ المسلمين الذين يعيشون في الإمبراطورية الروسية إنما

هم يعودون إلى أصل تركي ، كما أن معظم هؤلاء المسلمين إنما هم من أتباع السنة . كما يعيش حوالى خمسة ملايين من الشيعة أغلبهم في جمهوريتي أذربيجان وطادجكستان ، ويوجد ١٠٠ ألف اسماعيلي في هضبة البامير وهم من أتباع آغاخان ، ولهم اتصال بالهند ، وليس للشيعة أي عطف نحو العرب أو تركيا ، وإنما تجد إيران منهم كل عطف وتأثير .

وقد عمدت موسكو إلى تقسيم المسلمين ، وذلك لتجزئتهم ، كما اعتمدت العصبية القبلية ، وهم يعيشون الآن في :

١ً - جمهورية قازاقستان .

٢ً - جمهورية اوزبكستان .

٣ً - جمهورية تركمانستان .

٤ً - جمهورية طادجكستان .

٥ً - جمهورية قيرغيزيا .

قازاقستان

تُعدّ جمهورية قازاقستان أكبر جمهورية في الإمبراطورية الروسية بعد جمهورية روسيا الاتحادية ، فتبلغ مساحتها ٠٩٢ ، ٠٦٤ ، ١ ميل مربع ، (٣٠٠ر٧١٧ر٢ كيلو متر مربع) ، ويبلغ عدد سكانها ٠٠٠ر٦٨٤ر١٤ حسب إحصاء عام ١٣٩٩ هـ (١٩٧٩م) ، وهي تمتدّ من دلتا نهر الفولغا في الغرب إلى حدود الصين في الشرق ، وتقع بين سيبيريا في الشمال ، وجمهوريات تُركمانستان ، وأوزبكستان ، وقيرغيزيا .

وتتألف أراضي قازاقستان من مرتفعات الشرق ، هي السفوح الشمالية لسلسلة جبال تيان شان في أقصى الجنوب الشرقي ، والسفوح الغربية لسلسلة جبال آلتاي في أقصى الشرق والتي تمتدّ نحو الغرب مكونة نجوداً واسعة في وسط البلاد تعرف باسم هضاب قازاقستان ، وبين هاتين السلسلتين توجد مجموعة من البحيرات أكبرها بحيرة بلخاش ، وتنخفض هذه الأراضي بالاتجاه نحو الغرب حتى تصل إلى مناطق صحراوية في الجنوب أما في الشمال فتوجد بحيرات عديدة أكبرها بحر آرال (بحيرة خُوارزم) الذي يصبّ فيه نهرا سيحون

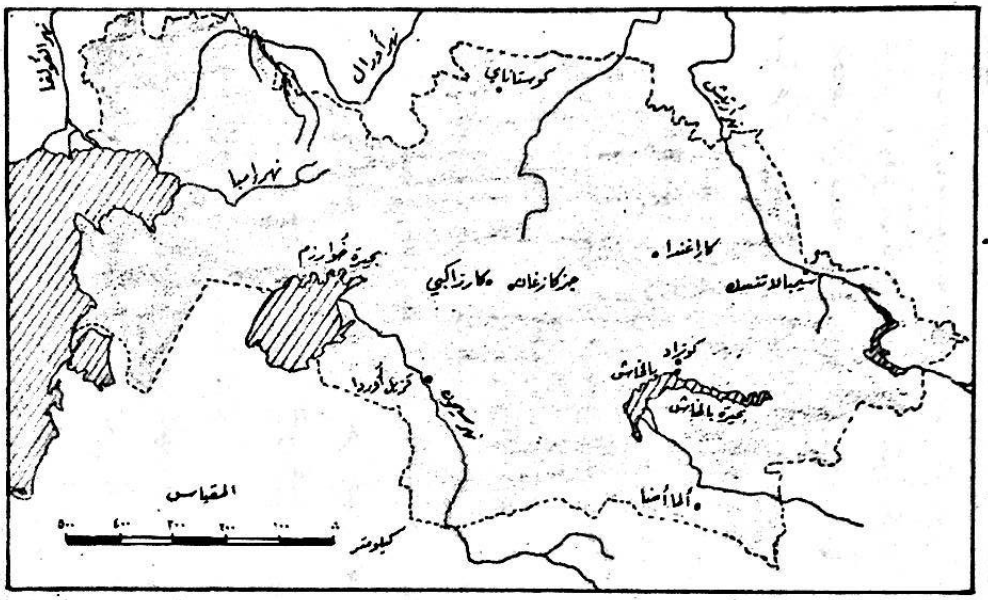
نهر الدانوب
نهر الأورال
كوستاناي
نهر ايسا
بحيرة خوارزم
جزكازغان
كارزاكبي
كوكشتاو
سيميالاتنسك
كوزياد
بالقاش
بحيرة بالقاش
فرند أوردا
ألا أطا
المقياس
كيلومتر

وجيحون ، وبعد بحر آرال تعود الأراضي للارتفاع تدريجياً حيث تكون نهاية جبال أورال فتتكون بعض الهضاب ، ثم يعود الانخفاض باتجاه بحر قزوين ، وقبل أن نصل إلى البحر المذكور نكون قد وصلنا إلى منطقة تنخفض عن سطح البحر . ويوجد في أقصى الشمال الشرقي سهول خصبة يجري فيها نهر ايرتيش أكبر روافد نهر ينيسي .

وتجري المياه من المرتفعات الجنوبية الشرقية فتتجه نحو بحيرة بلخاش ، أو نحو بحر آرال على شكل روافد لنهر سيحون ، وبعضها لا تستطيع مياهها القليلة أن تتابع مجراها لتصل إلى نهر سيحون أو إلى بحر آرال ، فتفيض مياهها في رمال الصحراء .

أما المياه التي تنحدر من المرتفعات الوسطى والشرقية ، فإما أن تنحدر إلى الشمال لتُشكّل أنهاراً بعضها صغير والآخر كبير مثل نهر ارتيش لترفد كلها نهر أوب ، وإما أن تنحدر نحو الجنوب لتصبّ في بحيرة بلخاش أو في البحيرات الصغيرة التي تقع شرق بحيرة بلخاش .

وهناك أنهار تنحدر من جبال أورال تتجه كلها نحو بحر قزوين أهمها نهر أورال ، ونهر إمبا .

وأهم أنهار قازاقستان نهر سيحون الذي ينبع من جمهورية قيرغيزيا، ثم يمر بجمهورية أوزبكستان، ثم يدخل قازاقستان، ويجري فيها

مسافةً طويلةً وسط مناطق صحراوية فيُؤلّف شريطاً من الواحات فتكثر المدن على طول مجراه ، ويستقر البشر وتقوم الحياة الحضارية ، وأخيراً يصبّ في بحر آرال في جزئه الشمالي ، وتقوم مشروعات الري على هذا النهر .

وهناك نهر إرتيش الذي ينبع من بلاد الصين بالقرب من حدود منغوليا ويدخل قازاقستان مُشكّلاً وادياً مُنخفضاً بين المرتفعات الشاهقة ، وتتشكّل بعض البحيرات في ذلك المجرى ، ثم يدخل منطقةً سهليةً ، وأخيراً يدخل سيبيريا وتأتيه روافد كثيرة أغلبها ينبع من هضاب قازاقستان وأخيراً يرفد نهر أوب الذي يصبّ في المحيط المتجمد الشمالي .

وهناك نهر أورال الذي ينبع من جبال أورال الذي يأخذ اسمها، ويتجه نحو الغرب ، وتقع عليه مدينة أورنبرغ ، ثم يدخل قازاقستان ، ويتجه نحو الجنوب ليصبّ في بحر قزوين .

تعد قازاقستان منطقةً غنيةً في ثروتها الزراعية ، والحيوانية ، والمعدنية . ففي المناطق المرتفعة تكثر زراعة الفاكهة في الأودية حتى لتسمى المناطق التي جنوب بحيرة بلخاش بلاد التفاح (آلما آضا) . كما تكثر زراعة الحبوب في المناطق المنخفضة، ومع المشروعات الاروائية كثرت زراعة القطن ، وأصبحت من المناطق التي تدر أرباحاً للامبراطورية الروسية من خلال هذه الزراعة .

وتُقدّم قازاقستان للامبراطورية الروسية ثروةً حيوانيةً ضخمةً ففيها ١٥٪ من مجموع أبقار الإمبراطورية و٢٠٪ من أغنامها ، ويكثر الرعي في المناطق الجافة في فصل الشتاء ، أما في الصيف فتحترق أعشاب المناطق المنخفضة بأشعة الشمس المحرقة ويسود فيها الجفاف ، فينتقل الرعاة إلى الجبال ، وهذا الانتجاع يتّم في كل عام . وإن كان الروس قد حرصوا على القضاء على حياة الرعي والتنقُّل لإمكانية السيطرة على السكان ومراقبتهم .

وتصطاد الأسماك من بحيرة بلخاش ، وبحر آرال ، وبحر قزوين .

وتفوق الثروة المعدنية كل ثروةٍ أخرى ، فتعدّ مخزن المعادن لكل الإمبراطورية الروسية إذ تُعدّ قازاقستان الأولى في العالم بإنتاج معدن الكروم كما انها تُقدّم :

٤ ، ٥٧ ٪ من النحاس في الإمبراطورية الروسية .

و٣ ، ٥٦ ٪ من الرصاص في الإمبراطورية الروسية .

و٨ ، ٤٩ ٪ من التوتياء في الإمبراطورية الروسية .

كما يوجد فيها ثروات كبيرة من الفحم ، والنفط ، والفضة ، وأغلب هذه الثروات توجد في الهضاب الوسطى ، وأهمّ مناطق النحاس من بلخاش ، وكارزاكبي ، وأهم مناطق الفحم ، من كاراغنده ، ويوجد النفط حول نهر أمبا .

وقد وُصلت أكثر مناطق الثروة بخطوطٍ حديديةٍ كانت غايتها الأولى إمكانية نقل الجنود الروس للمحافظة على المنطقة ، ثم استثمار الخيرات ، وإمكانية توطين الروس وإشرافهم على المنطقة باسم الإشراف على السكك الحديدية والمشروعات .

وهذا الغنى الظاهر في جمهورية قازاقستان جعلها نموذجاً لسياسة روسيا تجاه المجموعة الإسلامية في تركستان ، حيث يُؤكّد الروس تبعية قازاقستان السياسية إلى روسيا ، ولا يتمّ ذلك إلا بتحويل السكان إلى حب الروس ومقاومة كراهيتهم .

وما أن استلم الشيوعيون الحكم حتى قامت حركة شعبية قازاقية تمثّلت بحركة (ألاش أوردا) والتي قام بها الحزب الشعبي القوزاقي ، وكادت هذه الحركة تلقي الروس خارج الحدود ، وتُقيم حكومة قازاقية حرّة . وقد تظاهر الروس في بداية الأمر بتأييدهم لهذه الحركة ـ كشأنهم في كل الحركات الشعبية ـ ثم لم يلبثوا أن كشفوا القناع عن وجوههم وحاربوها بكل صرامةٍ وعنفٍ .

لم يكن هناك شيوعيون في البلاد قبل الاستعمار الروسي ، والروس هم الذين أدخلوا الشيوعية إلى المنطقة وكانوا يستلمون قيادة الحزب ، ومع ذلك فقد كانت نسبة الشيوعيين قليلة لا تزيد على ١ ـ ٣ ٪ من القازاق .

وكانت الحكومة الروسية تحكم قازاقستان قبل عام ١٣٤٤هـ (١٩٢٥م) من مدينة أورنبرغ التي تقع اليوم خارج حدود المصر . ثم انتقل مركز الحكم في عام ١٣٤٤هـ (١٩٢٥م) إلى مدينة (قيزيل اوردا kzyl orda) الواقعة على نهر سيحون أي العاصمة الحمراء وكانت تسمى (أكمشيت akhmchet) أي المسجد الأبيض وبهذا تظهر المفارقات ، كما أنهم فصلوا أورنبرغ عن جمهورية قازاقستان وضمّوها إلى جمهورية روسيا الاتحادية وصار اسمها الجديد شكالوف ، كما أن العاصمة (قزيل أوردا) لم يستمرّ فيها الحكم أكثر من عامين ، حيث نُقل ثانية إلى (آلما آضا) وتعني مدينة التفاح والتي كانت تُسمّى أيضاً (ڤرني) . ومن هذا يظهر كثرة التغيير في أسماء المدن والمناطق لنسيان التاريخ وكل ما يربَط بالماضي .

إن أول مُشكلةٍ واجهت الشيوعيين في حكم قازاقستان هي قلّة الشيوعيين وكثرة الذين ينتمون إلى الحركة المعارضة للشيوعيين ، لذلك عمدت الحكومة إلى إيجاد منظمة الفقراء عام ١٣٤٥هـ (١٩٢٦م) ، ولكن لم يلبث أن دخلت المعارضة إلى هذه المنظمة ، وقد لاحظ المسؤولون هذا الأمر ، فطردوا ألفين عضو من المنظمة ، كما نفوا سبعمائة آخرين إلى أماكن نائيةٍ بعد أن صادروا ماشيتهم .

حاول الروس أن يكون شيوعيو القازاق هم زعماء المناطق ، فلم يلبثوا أن قرروا توزيع الأرض ويجب أن تكون الأفضلية فيه لسكان

المنطقة وهم القازاق ، وبهذا لم تمض مدة وجيزة حتى أصبح الروس والأوكرانيون يتركون أراضيهم الخصبة ، وهذا ما أثار حقد الروس حيث وقفوا بجانب أبناء عنصرهم ، فألغوا هذه القوانين ، وعدّوا أن جميع القوميات متساوية في حقّ الاستفادة من الأرض القازاقية ، وبهذا عاد الروس والأوكرانيون إلى السيطرة على المناطق التي تخلّوا عنها ، وعاد الاستعمار الروسي إلى المنطقة . وعلى هذا لم تكن القضية قضية قوميات كما دعا قرار تقسيم تركستان ، ولم تكن القضية شيوعية كما ادعى الشيوعيون القازاق ، وإنما القضية استعمار روسي لهذه المنطقة فيجب أن يستفيد الروس قبل كل شيء وهم الرؤساء والمشرفون على المزارع الجماعية .

وأُجبر الناس على الدخول في المزارع الجماعية ، ولكن زعماء البلاد خافوا من قضية الترويس للسكان ، وهذا ما دعاهم إلى أن ينبهوا السكان إلى ذلك ، فقام حاكم المنطقة بإعدام زعيم وطني وثمانية عشر من أعوانه . وقد ذبح بعض الرعاة حيواناتهم وفرّوا من البلاد والتجأوا إلى القسم الثاني من تركستان[1] ، وهي التي تقع تحت السيطرة الصينية وذلك عام ١٣٥١هـ (١٩٣٢م) ، وكذلك كان الأمر كلما حزب ، أو اشتدّت القسوة . ولكنه سُمح للرعاة الذين يدخلون

(١) تركستان : بلاد واسعة في آسيا الوسطى وهي اليوم قسمان : قسم غربي ويعرف بتركستان الغربية وهذا الذي يخضع للاستعمار الروسي ، وقسم شرقي ويعرف باسم تركستان الشرقية وهو يخضع للنفوذ الصيني .

المزارع الجماعية أن يمتلكوا بعض الحيوانات .

وقد توتّر الموقف بين الروس والوطنيين فيما بين عام ١٣٥١ - ١٣٥٥هـ (١٩٣٢ - ١٩٣٦م) ، وينعت الروس الوطنيين بأنهم يعملون بوحي من الامبريالية اليابانية ، والنازية الألمانية .

وكان حكام المنطقة من الغرباء عنها فقد حكمها حاكم روسي فيما بين عام ١٣٣٦ - ١٣٥١ هـ (١٩١٧ - ١٩٣٢م) ، وحاكم أرمني فيما بين عام ١٣٥١ - ١٣٥٧هـ (١٩٣٢ - ١٩٣٨م) .

وكذلك فإن غنى قازاقستان بالثروة المعدنية قد جعل الروس يستقدمون الخبراء للعمل في المناجم ، وهم لا شك من أعضاء الحزب الشيوعي المعتمدين ، وكانت هذه المدن تنمو وتتسع ، ولكن هذه الزيادة كانت من الأجانب الروس الذين أصبحوا يملكون زمام الأمر في المدن . كما أن قسماً من الرعاة قد أصبحوا عمالاً في المعامل ولكن بنسبة ضئيلة . ففي عام ١٣٤٩ هـ (١٩٣٠م) كان عدد العمال من الوطنيين لا يزيد على الثلث بينما وصل إلى النصف في عام ١٣٥٩هـ (١٩٤٠م) . وهذا كله يدل على أن النظام الشيوعي قد تابع السياسة القيصرية بالذات وسار على خطها ، ونهج نهجها ، ففي عام ١٣٥٧هـ (١٩٣٨م) كان عدد طلاب جامعة (آلما آضا) خمس وستون وثمانمائة طالب بينهم ثلاثة ومائتان طالب من القازاق فقط ، والباقي من الروس أي أن مستقبل البلاد ليس بيد أبنائها .

ويحاول الروس أن يقنعوا القوزاق بأن الروس هم الإخوان الكبار لهم ، وأنهم هم الذين أبعدوا قازاقستان من أن تخضع لاستعمار الدول الأجنبية وذلك بانضمامهم إلى روسيا ، وأن أمل القوزاق منذ القرن العاشر الهجري (السادس عشر) إنما هو الانضمام إلى روسيا ، وأن الروس هم الذين أخذوا بأيديهم نحو التقدّم والتصنيع . هذه الأفكار الرئيسية التي يدور عليها البحث والمنهج .

• تقول الاحصاءات الروسية : أن عدد القازاق قد هبط ، ولكنها لا تعلل أسباب هذا النقص . إذ ليس هناك من تفسير سوى الإبادة .

وعاصمة جمهورية قازاقستان هي مدينة (آلما آضا) أي بلد التفاح ، وتقع في أقصى الجنوب الشرقي قريباً من حدود جمهورية قيرغيزيا في منطقة مرتفعة ، عند رأس وادي تتجمع فيه مياه تلك المرتفعات ليرفد نهر أوي الذي يصب في بحيرة بلخاش مشكلاً دلتا واسعةً . ومنطقة (آلما آضا) ذات فاكهة كثيرة وخاصة التفاح . وقد انتقل إليها مركز حكم المنطقة منذ عام ١٣٤٦هـ (١٩٢٧م) . وتمرّ منها سكة حديدية تصلها مع بقية أجزاء قازاقستان ومع بقية جمهوريات تركستان كما تتصل بواسطتها مع روسيا وسيبيريا .

ومن المدن المهمة الأخرى كاراغندة في وسط قازاقستان المرتفعة وتشتهر منطقتها بغناها بمناجم الفحم لذلك وُصلت بخطٍ حديدي لنقل

منتجاتها كما تتصل بخط حديدي خاص بمدينة (كارزاكبي) حيث مناجم النحاس ، وكذلك بمدينة بلخاش على بحيرة بلخاش الغنية أيضاً بفلزات النحاس .

ومدينة قزيل أوردا ومعناها المدينة الحمراء وكانت تسمى أكمشيت أي المسجد الأبيض وبقيت مركزاً لحكم قازاقستان مدة عامين ١٣٤٤ ـ ١٣٤٦هـ (١٩٢٥ ـ ١٩٢٧م) وتقع على مجرى نهر سيحون الأدنى ، وتقوم زراعة القطن في ضواحيها وتتصل مع مدن الوادي بسكة حديدية حيث تصلها مع طاشقند وبقية أجزاء تركستان الجنوبية ، أما من الشمال فتصلها مع روسيا وبحر قزوين .

وهناك مدن أخرى ذات أهمية كبيرة ولكننا يمكننا هنا أن نضيف مدينة أورنبرغ التي تقع على نهر أورال الأعلى وقد كانت عاصمة قازاقستان قبل عام ١٣٤٤هـ (١٩٢٥م) ثم فُصلت عنها وألحقت بجمهورية روسيا الاتحادية وبذلك فصلت قازاقستان عن بلاد الباشكير ، وكلا الجمهوريتين (قازاقستان وباشكيريا إسلاميتان) ، وبذلك انفصلت بلاد المسلمين بعضها عن بعض بجزء أصبح يخضع مباشرة لروسيا . والقصد من ذلك معروف . كما يدل اسمها ، وتُعرف اليوم باسم شكالوف .

أوزبكستان

أقيمت هذه الجمهورية على أنقاض جمهوريات أزالها الاستعمار ، وأقسام من إمارات شتّتها الاستبداد ، وأجزاء من دول قضى عليها الطغيان ، ومناطق مختلفة حكمها الظلم .

شملت أوزبكستان جمهورية قره قالباقية[1] وجزءاً من إمارة بُخارى[2] وقسماً من خانيه خوارزم[3] ، ومناطق أخرى . وبلغ عدد سكانها (١٥٫٣٩١٫٠٠٠) حسب احصاء عام ١٣٩٩هـ .

والأوزبك أكبر مجموعة في الاتحاد السوفييتي بعد المجموعة الصقلبية حيث يزيد عددها على ثلاثة عشر مليونا . ووصل الأوزبك إلى المنطقة

---

(١) قره قالباقية : كانت تتبع قازاقستان حتى عام ١٣٤٩ هـ (١٩٣٠م) ، ثم ضُمت إلى الادارة المباشرة في جمهورية روسيا الاتحادية ، وبقيت تتبعها مدة ٦ سنوات ، ثم ضُمت إلى اوزبكستان عام ١٣٥٥هـ (١٩٣٦م) .

(٢) إمارة بُخارى : قسمت إمارة بُخارى عام ١٣٤٣هـ (١٩٢٤م) بين جمهوريات طادجكستان ، وأوزبكستان ، وتركمانستان .

(٣) خانية خيوه : هجم الروس على جمهورية خُوارزم (خيوه) عام ١٣٤٣هـ (١٩٢٤م) وخلعوا أميرها خان خيوه السيد عبدالله خان بهادور ، ووزّعت أراضي الإمارة بين جمهوريتي أوزبكستان ، وتُركمانستان .

في القرن الثامن الهجري (الرابع عشر ميلادي) ، وكانت وثنية ، ولكنها لم تلبث أن اعتنقت الإسلام ، واستطاعت أن تُؤسّس لها دولةً في سمرقند ، بسبب ضعف الإمارات التتارية التي قامت في المنطقة عقب نهاية تيمورلنك ، ثم استطاعت دخول مدينة بُخارى عام (٩٠٥هـ - ١٥٠٠م) ولكنها احتفظت بمدينة سمرقند عاصمةً لها .

حاول الأوزبك استعادة مجدهم بعيد قيام الحركة الشيوعية وسقوط القيصرية الروسية ، وقد تحقّق هذا الحلم مدةً وجيزة حيث قامت دولة تركستان المستقلة في خوقند ، ولكنها لم تلبث أن سقطت عام ١٣٣٧هـ (١٩١٨م) ، ثم قامت حركة الجهاد ، وقبل ذلك قامت الحركة نفسها في سمرقند عام ١٣٢٢هـ (١٩٠٤م) .

تشترك جمهورية أوزبكستان في حدودها مع الجمهوريات التركستانية الأربعة الأخرى كما تشترك مع أفغانستان . هذا الموقع وهذا العدد من السكان جعل دولاً قوية تقوم في هذه المنطقة ، وقد فاقت هذه الدول مثيلاتها في المناطق الأخرى وأهمها دولة خوقند التي سقطت عام ١٢٩٣هـ (١٨٧٥م) وإمارة بُخارى وخانية خيوه اللتان استمرتا حتى بعد قيام الحركة الشيوعية ، كما انطلقت منها أعظم الثورات .

هذه القوة وهذه المقاومة جعلت الروس يخططون حدود هذه الجمهورية بشكل غريب يظهر من المصور حيث يبلغ طولها ٩٠٠ ميل بينما عرضها ٢٠ ميلاً .

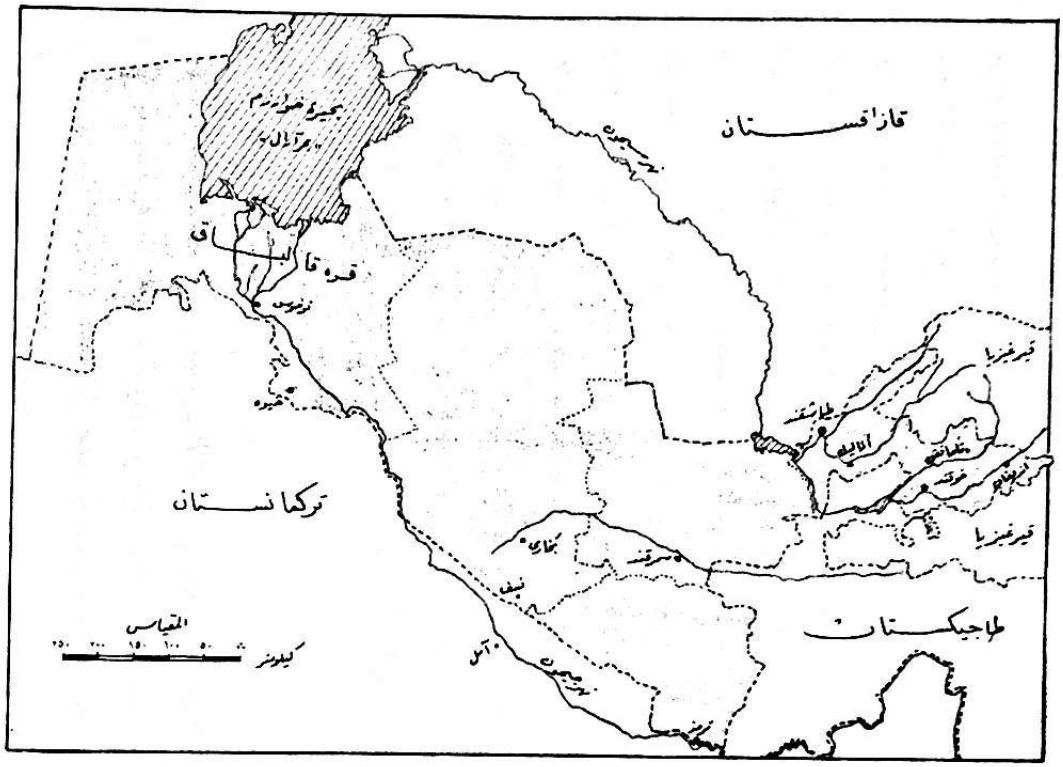
قازاقستان
قره قالپاق
ترکمانستان
طاجیکستان
المقیاس
کیلومتر

تبلغ مساحة أوزبكستان ١٥٧,٠٠٠ ميل مربع (٤٠٨,٠٠٠ كيلو متر مربع) وقد كانت سمرقند هي عاصمة هذه الجمهورية ، ولما لم يستطع الشيوعيون تغيير مظهر المدينة الإسلامي ، وحمل رجالها على الشيوعية ، نقلت العاصمة إلى طاشقند عام ١٣٤٩هـ (١٩٣٠م) ، وذلك لأن طاشقند يسكنها عدد من الروس ترتفع نسبتهم إلى نصف سكان المدينة ، بينما لا تكاد نسبتهم تذكر في مدينة سمرقند .

تتألف أوزبكستان من منطقةٍ جبليةٍ في الجنوب الشرقي وتميل تدريجياً نحو الشمال الغربي حتى تصل إلى صحراء قزيل قرم ثم إلى سهل طوران الذي تتقاسمه مع قازاقستان ، ثم منطقة قره قالباقية التي تقع جنوب وغرب بحر آرال ، هذا بالإضافة إلى المنطقة الشرقية التي تعدّ أهم منطقة في الجمهورية من حيث السكان والثروة الزراعية والصناعية حتى أن أعظم المدن توجد فيها ، وهي تتغلغل بين أراضي قيرغيزيا كما تدخل بين جمهوريتي طادجكستان وقازاقستان وهي عبارة عن وادي يجري فيه نهر سيحون وتحف به المرتفعات .

المياه :

تشمل المنطقة الشرقية وادي سيحون الأعلى الذي ينبع من مرتفعات فرغانة وأواسط قيرغيزيا ، وتأتيه الروافد من مرتفعات فرغانة نفسها ، فيمرّ بشمال مدينة خوقند ، ثم يدخل جمهورية طادجكستان ثم يعود مرة أخرى إلى أوزبكستان ، وتأتيه الروافد من مدن انغرن ،

وطاشقند ، وبعدها يدخل جمهورية قازاقستان .

أما نهر جيحون فيشكل الحدود بين أوزبكستان وأفغانستان مسافة ١٥٠ كم ، ويدخل بعدها جمهورية تُركمانستان ، وبعد أن يسير فيها ما يقارب ٦٠٠ كم يعود ليشكل الحدود بين أوزبكستان وتُركمانستان ، ثم يجري في أوزبكستان وسط سهل منبسط يمرّ في شرق مدينة خيوه (خُوارزم) ثم يصبّ في بحر آرال (بحيرة خُوارزم) مُشكلاً دلتا واسعةً ، ويجري نهر جيحون في منطقة صحراوية فيُشكلّ واحةً على طول مجراه .

وهناك نهر زرافشان الذي ينبع من جمهورية طادجكستان ويدخل أوزبكستان قبل مدينة سمرقند فيمرّ فيها ، ويتجه نحو الغرب ، ثم نحو الجنوب الغربي حتى يصل إلى مدينة بُخارى حيث يأتيه رافد من الجنوب وعندما يصل إلى بُخارى يكون سيلاً يجري عقب الأمطار ، وبعدها يتجه نحو الغرب ليصب في نهار جيحون ولكن لا يصل إليه إلاّ في بعض الأعوام التي تكثر فيها الأمطار .

كانت منطقة أوزبكستان شهيرةً بزراعتها وماشيتها . فتكثر الفاكهة في الأودية والمناطق الشرقية بشكل عام ، وكذلك على ضفاف نهر جيحون ، وتعرف زراعة الحبوب في سهل طوران ، وسفوح الجبال وأكثر المناطق المروية ، ولكن بدأت زراعة القطن تأخذ طريقها في الانتشار ، فارتفعت نسبة هذه الزراعة وانخفضت زراعة الحبوب

وذلك حسب توجيه السياسة الروسية رغم أن هذه السياسة قد وجدت معارضةً شديدةً من قبل السكان ، وأخيراً أصبحت زراعة القطن تقرن مع ذكر منطقة أوزبكستان ، إذ تنتج ثلاثة ملايين طن من القطن ، فهي أكبر منتج في العالم من هذه المادة حتى غدت تسمى بلاد الذهب الأبيض .

وأثناء الحرب العالمية الثانية دخل المنطقة أكثر من مليوني لاجيء إثر الغزو الألماني للامبراطورية الروسية ، فتوسّعت أوزبكستان في زراعة الحبوب والشمندر السكري لتؤمن حاجة هؤلاء اللاجئين ولتعوّض عما خسرته الامبراطورية الروسية من هذه المزروعات التي كانت تنتجها أوكرانيا التي غزاها الألمان واحتلّوا أرضها .

وكذلك توسّعت منطقة أوزبكستان في الصناعة ، ودخلها عدد كبير من الصناع الروس حتى ارتفعت نسبتهم إرتفاعاً كبيراً حتى وصلت إلى ١٧٪ بينما نجد أن الأوزبك يُؤلّفون ٥٩٪ ، وقد كان مجلس الشعب في أوزبكستان عام ١٣٦٦هـ (١٩٤٧م) يضمّ :

٢٤٩ نائباً أوزبكياً
٨٣ نائباً روسياً
٣٢ نائباً تركمانياً
٣٦ نائباً من طاجيك وقازاق ، ومن وقره قالباقيه

وكان أكثر العمال الروس يُقيمون في المدن الكبرى حتى تأخذ الصبغة الروسية ، ومقابل ذلك يذهب عمال من الأوزبك ليعملوا في الصناعة في مناطق نائية وخاصة في منطقة الأورال ، ليتخلّصوا منهم في منطقتهم ، وليُجبروهم على الطاعة . وطريقة تطعيم المناطق بعناصر من غير سكانها معروفة على نطاق واسع في كل جزء من الامبراطورية الروسية . ومن المدن الصناعية المهمة طاشقند و (اتشرن) و (لينسيك) وقد أصبحت هذه المدن ذات طابع غربي تماماً ، وهناك بعض المدن التي لا تزال تحافظ على الطابع الشرقي مثل (انديخان andighan) ومدينة (نامانغن namangn) .

وتتصل أكثر المدن التي تقع في المنطقة الشرقية بعضها مع بعض بخطوط حديدية كما تتصل مع أمهات المدن الأخرى .

وتضمّ أُوزبكستان أكثر المدن المعروفة في التاريخ وأهمها :

طاشقند :

وهي عاصمة الجمهورية ويزيد سكانها على مليون نسمة ، وتعد سابع مدينة في الامبراطورية ، وقد أصبحت العاصمة بعد نقلها من سمرقند عام ١٣٤٩ هـ (١٩٣٠م) وذلك لأن الروس يكثرون فيها حتى أصبحت ذات طابع غربي تماماً ، وقد كان مجلس مدينة طاشقند يتألف عام ١٣٧٠هـ (١٩٥٠م) من :

٣ر٥١ ٪ أوزبك

٢ر٣٧ ٪ روس .
٥ر١١ ٪ جنسيات أخرى .

وتقع طاشقند على نهر يرفد نهر سيحون ، كما أنها قريبة من حدود قازاقستان ، ولم تستقر أرضها تماماً فلا تزال الزلازل تنتابها بين فترة وأخرى .

سمرقند :

ذات طابع شرقي ، وصفة إسلامية مما حرمها أن تستمرّ عاصمةً لأوزبكستان فقد نقلت إلى طاشقند عام ١٣٤٩هـ (١٩٣٠م) حيث وقف رجالها دون الانصهار في بوتقة الشيوعية ، كما لم يتأثّروا بالروس الذين لم يطب لهم المقام فيها لأنهم بقوا كالغرباء . وسمرقند ذات ماضٍ تاريخي حافل ومركز بلاد الصغد ، كما كانت عاصمة تيمورلنك ، وتقع على نهر سيحون .

خيوة :

وهي خُوارزم تقع في منطقة سهلية غربي نهر جيحون ، وقد قامت فيها دولة قوية مثل دولة خُوارزم . كما قامت فيها حديثاً إمارة استمرت حتى بعد الثورة الشيوعية وأخيراً قضي عليها عام ١٣٤٣هـ (١٩٢٤م) .

بُخارى :

وكفاها فخراً أنها منبت الإمام البُخاري ، وقد خُرّبت عام

(٦١٦هـ - ١٢٢٠م) على يد جنكيزخان ، ثم دخلها الأوزبك (٩٠٥هـ - ١٥٠٠م) ولكنهم أبقوا سمرقند عاصمةً لهم .

وتوثّقت العلاقة بين دولة الأوزبك وبين قياصرة موسكو ، وبهذا عرفت بُخارى في روسيا ، وكان الروس يُطلقون اسم بُخارى على كل التجار والمهاجرين من آسيا الوسطى مدة القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين (السابع عشر والثامن عشر الميلاديين) ، كما كانوا يسمون تركستان الشرقية اسم بُخارى الصغيرة . وحكمت بُخارى أسرة أوزبكية تسمى بني منغيت واستمرّ حكمها حتى عام ١٣٣٩هـ (١٩٢٠م) حيث هاجم الروس المدينة واضطر آخر أمرائها إلى الهجرة إلى افغانستان حيث توفي هناك عام ١٣٦٣هـ (١٩٤٤م) وتقع بخارى على نهر زرافشان عند التقائه برافده المنحدر من الجنوب فهي واحة تحيط بها الصحارى .

تُركمَانسْتان

تبلغ مساحة تركمانستان ٢٥٠ر١٧١ ميل مربع (٠٠٠ر٤٤٥ كيلو متر مربع)، وتُقدّر بمساحة فرنسا، ولكن سكانها لا يزيدون على مليون ونصف المليون حسب احصاء عام ١٣٩٩هـ ، وذلك لأن أكثر أراضيها صحراوية ، حيث تشمل صحراء قره قوم تسعة أعشار الجمهورية ، والقسم الباقي هو الذي يقع في جنوبي المنطقة ، وتهطل عليه بعض الأمطار المتوسطية في فصل الشتاء ، وذلك لارتفاعه . ورغم أن المنطقة تقع على ساحل بحر قزوين إلا أن ذلك لا يُؤثّر على مُناخها إلاّ قليلاً من الرطوبة التي لا تتعدى الساحل ، وذلك لأن البحر مغلق وصغير ، ولانخفاضه عن سطح البحر ، وترتفع في غربه الجبال بينما تنخفض أراضي بلاد التركمان في شرقه .

والمنطقة الجنوبية المرتفعة هي السفوح الشمالية لمرتفعات إيران وافغانستان وهي المنطقة الأهلة بالسكان ، إضافة إلى الواحة التي يؤلفها نهر جيحون عند مروره من البلاد .

استولى الروس على القسم الأكبر من البلاد إثر الحرب التركمانية عام

١٢٩٧ ـ ١٢٩٨هـ (١٨٧٩ ـ ١٨٨٠م) ، ولكن جنوب شرقي البلاد لم يخضع للروس حتى عام ١٣٠٢ هـ (١٨٨٤م) بما في ذلك مرو التي دافع عنها التركمان دفاعاً مستميتاً .

فكّرت روسيا أنه لقهر التركمان لا بُدّ من قهر الصحراء وتنفيذ مشروعاتٍ إروائية ضخمة تستطيع بموجبها نقل عدد كبير من الروس إلى المنطقة وتوطينهم فيها وبالتالي يسيطرون على البلاد .

فبعد أن استقرّ الروس في بلاد التركمان فكّروا في حفر قناة تركمانيا ونشروا أول دراسة عنها عام ١٣١١هـ (١٨٩٣م) وهو المشروع المعروف بقناة غلوخوفسكي ، ويصل المجرى الأدنى لنهر جيحون ببحر قزوين .

وفي عام ١٣٦٦هـ (١٩٤٧م) فكّر الروس بحفر قناة قره قوم العظيمة وهي تجري من المجرى الأوسط لنهر جيحون إلى أنهار مورغاب[1] وتادزهن[1] ، ويكون طول القناة ٤١٠ أميال ، وتوجه

---

(١) نهر مورغاب : ينبع من جبال أفغانستان الشمالية ، وينحدر نحو بلاد التركمان ، ويمر بمدينة مرو التي أقيمت على يمينه ، ثم وتغيض في رمال صحراء قره قوم .

(٢) نهر تادزهن : نهر ينبع من جنوب منابع نهر مورغاب ومن مناطق أكثر إرتفاعاً ويتجه نحو الغرب وتقع عليه مدينة هراة المدينة المشهورة في أفغانستان ، ثم يُشكّل الحدود بين إيران وأفغانستان ، ثم بين إيران وتُركمانستان ، ويأتيه رافد عظيم من إيران أقيمت عليه مدينة مشهد الفارسية المعروفة ، وأخيراً يدخل في بلاد التُركمان وتغيض مياهه في الصحراء كسابقه .

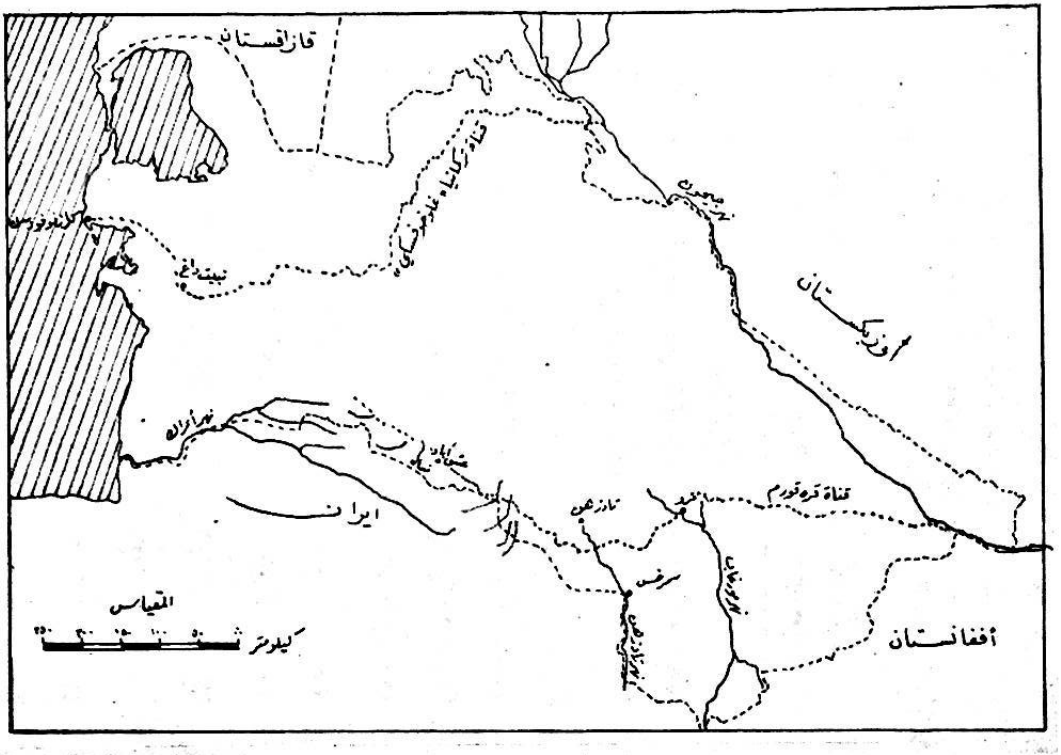
قازاقستان
قناة كاراكوم
أوزبكستان
نهر مرغاب
إيران
تجن
قناة قره قوم
تارز هن
مرو
أفغانستان
المقياس
كيلومتر

مياهها لري مساحات واسعة في جنوب بلاد التركمان .

وفي عام ١٣٧٠هـ (١٩٥٠م) تقرّر إنشاء قناة تركمانيا الرئيسية بطول ٦٠٠ ميل في بلاد التركمان الشمالية لتصل نهر جيحون الأدنى ببحر قزوين عند ميناء (كراز نوفودسك) كما يمكن الاستفادة من الطاقة الكهربائية الناجمة عن انحدار القناة .

ولايزيد عدد التركمان كثيراً على المليون ونصف المليون ، ولا يقيم منهم في بلادهم أكثر من ٩٠٠ ألف تركماني ، بينما يعيش الباقون مُشرّدين في أنحاء متفرقة ، فمن الذي يا ترى يعمر البلاد بعد تنفيذ هذه المشروعات التي تحتاج إلى أيدٍ عاملةٍ كثيرةٍ لاستثمارها ؟ ومن الذي يجني ثمار هذه المشروعات ؟ لا شك أن الروس والأوكرانيين هم الذين يستعمرون البلاد ومن أجل ذلك قامت المشروعات . والواقع أن الأفواج الكبيرة من المهاجرين الجدد بدأت تتدّفق على البلاد وتتركّز بشكلٍ خاصٍ في ميناء (كراز نوفودسك) ويظهر هذا من النسبة التالية : كان السكان في تركمانستان عام ١٣٤٥هـ (١٩٢٦م) كما يلي :

٧٨ ٪ تركمان
٠٦ ٪ روس
١٦ ٪ تتار وقازاق وفرس وأرمن .

ورغم أن نسبة التركمان كبيرة ، إلاّ أن التركمان لم يحصلوا على

مركزهم في القيادة فقد كان أعضاء مجلس جمهورية تركمانستان يوزعون حسب الجنسيات في عام ١٣٥٧هـ (١٩٣٨م) كما يلي :

٥٥ ٪ تركمان
٣٠ ٪ روس
٠٩ ٪ أوكرانيون ، وروس صغار ، ويهود .
٠٦ ٪ أقليات آسيوية .

ومن هذا الجدول يدل على أن الروس هم الذين يحصلون على مقاعد أكثر من نسبتهم وهم الذين يتبوؤن مركز الصدارة ، ويحتلّون خمسة أمثال نسبتهم العددية .

وبعد تسعة أعوام اختلفت هذه النسبة فارتفع عدد مقاعد التركمان لقبول بعضهم التعاون مع حكامهم جرياً وراء مصالحهم وانخفضت نسبة الروس ولكن في الوقت نفسه ارتفعت نسبة الأوكرانيين وكان التوزيع في عام ١٣٦٦هـ (١٩٤٧م) كما يلي :

٦٦ ٪ تركمان

٢٢ ٪ روس

١٢ ٪ أوكرانيون

١٠٠

وأهم مدن تركمانستان عشق اباد وتقع جنوبي البلاد ، قريبة من

الحدود الايرانية ، وتقع على الخط الحديدي الذي يصل ميناء (كراز نوفودسك) بمدينة مرو ومنها إلى بُخارى .

ومدينة مرو وتقع أيضاً في الجنوب في شرق الأولى وتتصل معها بالسكة الحديدية ، وهي ذات موقع ممتاز عند انفتاح الصحراء ، ويرويها نهر مورغاب وقد دافع عنها سكانها دفاع الأبطال عند سقوطها بيد الروس .

وأيام الحكم العربي الإسلامي كانت مركز خراسان ومقرّ واليها . وينعت أهلها بالبخل وتنسب إليهم نوادر البخل .

كراز نوفودسك : الميناء المهم في الجمهورية ، وتقع على ساحل بحر قزوين ويكثر فيها الروس والأوكرانيون القادمون لاستثمار خيرات البلاد واستعمارها . وهذه المدينة بداية الخط الحديدي الذي يجتاز البلاد ، ونهاية قناة تركمانيا الرئيسية التي تصل نهر جيحون في مجراه الأدنى في جمهورية أوزبكستان مع بحر قزوين .

قيرغيزيا

منطقة جبلية بمعظمها ، تبلغ مساحتها ٧٥ر٩٥٠ ميل مربع (٥ر١٩٨ ألف كيلو متر مربع) أي أكبر من مساحة الجمهورية العربية السورية بقليل ، ويزيد عدد سكانها على ٣ر٥٢٩ر٠٠٠ نسمة حسب احصاء عام ١٣٩٩هـ .

تتألف من سلسلتين جبليتين شمالية وجنوبية وبينهما منطقة من الهضاب تتجمع فيها المياه فتُشكّل في الشمال الشرقي عدّة بحيراتٍ واسعةٍ ، بينما يجري في القسم الغربي نهر نارين وهو المجرى الأعلى لنهر سيحون . وهو ينبع من شرقي البلاد ويستمرّ في جريانه حتى الغرب حيث يدخل جمهورية أوزبكستان ، وتأتيه الروافد من جانبيه .

وتقترب السلسلتان بعضهما من بعض في الغرب مكونة مرتفعات فرغانة .

بدأ الاستعمار الروسي في قيرغيزيا عام ١٢٨٤هـ (١٨٦٦م) حيث أسّس عشرين قريةً روسيةً معظمها في المنطقة الشمالية المتاخمة لحدود قازاقستان ، ثم بدأ الروس يفدون بشكلٍ واسعٍ إلى المنطقة ، فأقيمت أكثر من ستين قرية في المدة الواقعة ١٣٢٥ ـ ١٣٣٤هـ (١٩٠٧ ـ

١٩١٥م) كان أكثر من خمسين منها في وادي فرغانة ، أي أن الاستعمار بدأ يتقدّم نحو الجنوب .

وقد تناقص عدد القيرغيز إبان الاستعمار الروسي نتيجة الثورات والهرب من البلاد والموت جوعاً وحرب الإبادة . ففي عام ١٣٣٥هـ (١٩١٦) قامت ثورة قُتل أثرها ١٥٠ ألف قيرغيزي ، ومات جوعاً من القيرغيز أثناء هربهم إلى الصين إبان طغيان الحكم الشيوعي والسيطرة الروسية من قبل ، كما أن جميع سكان القسم الشمالي قد أُبيدوا ، وكان هذا النقص في السكان أكثر من الثلث .

واستمرّ تناقص السكان بعد الحكم الشيوعي بينما بدأ يزداد عدد الروس الوافدين إلى المنطقة ، حتى وصل عدد القيرغيز إلى أقل من نصف سكان الجمهورية في عام ١٣٤٥هـ (١٩٢٦) ، ويسيطر الروس على كل نواحي الحياة في البلاد . وتسمى عاصمة الجمهورية باسم (فرونزي) نسبة إلى القائد الروسي ، ميخائيل فرونزي الذي قاد الروس في قتال القيرغيز واستعمار بلادهم . وقد رغب السوفييت في توطين البدو ، حتى لا تستمرّ الحركات الثورية والانتجاع وحتى تسهل مراقبة السكان ، وكان نتيجة ذلك أن ذبح أصحاب الماشية أغنامهم ورفضوا تسليمها إلى المسؤولين . ونلاحظ من تعداد الأغنام في البلاد :

١٣٤٨هـ (١٩٢٩) ٦ر٠٠٠ر٠٠٠ رأس غنم .

١٣٥٦هـ (١٩٣٧م) ٢ر٠٠٠ر٠٠٠ رأس غنم .

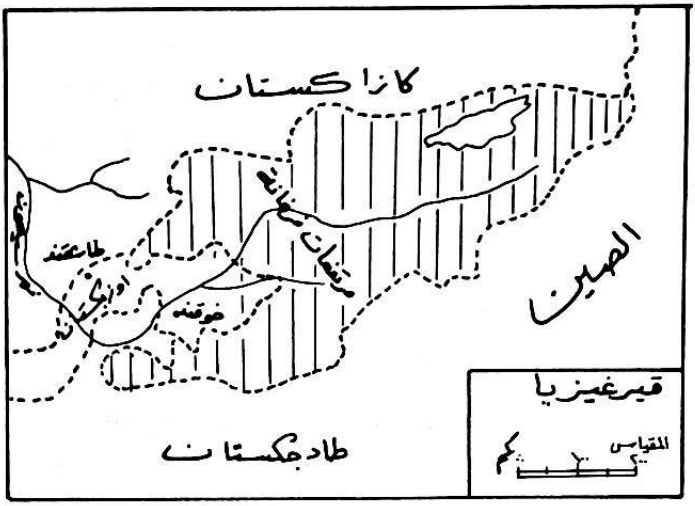

وكان يُطرد من الحزب الشيوعي الأعضاء من القيرغيز ولو كانوا في أعلى المراتب ، ومن أكثر الأنصار ، والمتظاهرين بالتأييد للشيوعية ، بحجة أنهم لا يتوافقون مع النظم الجديدة . فقد طرد رئيس الوزراء يوسوب عبد الرحمانوف لأنه طالب بعدم تصدير الخبز قبل شبع القيرغيز فاتهم بالخيانة ، كذلك اختفى عام ١٣٥٦هـ (١٩٣٧م) في حركة التطهير رزفيلوف الذي نال شهرةً في كل الاتحاد السوفييتي مدة ثلاثين عاماً ، وكان عام ١٣٤١هـ (١٩٢٢م) مندوب نائب ستالين في منصب زعيم القوميات ، ثم شغل بعد ذلك منصب نائب رئيس وزراء جمهورية روسيا الاتحادية . ومن قبل قضي على عبد الكريم

طريق في قيرغيزيا

صديقوف حيث أتهم بإفساد المزارع الجماعية والكفاح المسلح ضد النظام السوفييتي .

ويُشجّع الروس العداء بين القيرغيز وسكان الصين ، وقد وضعت ملحمة تسمى (ألماناس) وتدور فصولها على قتال دائم بين القيرغيز والصينيين ، وتعطي عبارات التمجيد على الأبطال الذين ظهروا خلال قتالهم لأهل الصين . وقد أصبحت هذه الملحمة أكثر الكتب شعبية

نتيجة التشجيع الدائم من المسؤولين الروس ، وهذا بسبب خوف الروس من القيرغيز لبعدهم الطويل عن موسكو مركز الحكم الروسي ، ولصعوبة أرضهم التي يصعب السيطرة عليها وخاصة أن سكانها أغلبهم من الرعاة ، يضاف إلى ذلك هرب عددٍ ليس بالقليل أثناء سيطرة الروس في بدء الاستعمار ، ثم أثناء نجاح الثورة الشيوعية وإعادة المناطق التي ثارت عليها . وعندما حكم الشيوعيون الصين تغيرّ الروس إلى ملحمة (ألماناس) وبدأوا يحُاربونها نتيجة سياستهم إلى الماضي والتي تتلخص في فصل حاضر المسلمين عن ماضيهم .

كما تغيرّت دراسة التاريخ والأدب والثقافة القيرغيزية ، وبدأ الهجوم عليها ، واتُّهم الشعراء والأدباء وكتّاب القصة بأنهم يفضلون الثقافة القيرغيزية على الروسية وهذا منتهى التفرقة والافساد .

وتجود الزراعة في قيرغيزيا فهناك القطن ، والشمندر السكري والحبوب ، إضافة إلى الفاكهة التي تكثر في الأودية وخاصة فرغانة . كذلك اكتشفت مكامن الذهب والقصدير ، وجرى تنظيم مكثفات الرصاص والتوتياء ، وتعمل مقالع للفحم الحجري ، واستثمارات نفطية ، كما تعدّ قيرغيزيا من أكبر منتجي الزئبق والانتيموان .

ولا تصل الخطوط الحديدية إلى قيرغيزيا إلا مسافة ضئيلة تصل إلى فرونزي العاصمة في الشمال ، وما عداها فطرق سيارات ، وذلك بسبب طبيعة البلاد الجبلية .

طادجكستان

أصغر جمهورية في آسيا الوسطى حيث تبلغ مساحتها ٥٥ر٥٤٥ ميل مربع (١٤٣ر٠٠٠ كيلو متر مربع) ويبلغ عدد سكانها ٣ر٨٠٦ر٠٠٠ نسمة حسب احصاء ١٣٩٩هـ ، ومركزها مدينة (ستالين آباد) والتي اصبح اسمها (دوشنبه) ، ويختلف سكانها عن بقية السكان في تركستان فهم من أصل إيراني بينما سكان تركستان من أصل تركي . كذلك يتبع سكان كافة تركستان مذهب أهل السنة بينما يتبع قسم سكان طادجكستان المذهب الشيعي ، كما يوجد فيها ما يقارب من ١٠٠ ألف اسماعيلي يعيشون في هضبة بامير ، ويتبعون آغاخان .

أكثر من نصف مساحة طادجكستان تشغله هضبة بامير أعلى هضبة في العالم حتى لتعرف باسم سقف العالم ، وتحتلّ الجزء الجنوبي والشرقي من البلاد ، ومنها تتوزّع السلاسل الجبلية الشاهقة . أما القسم الشمالي فتشغله سلسلة جبال آلاي ، ويُعدّ الجزء الجنوبي الغربي هو المنخفض نسبياً ، كما تدخل أراضيها في أوزبكستان لتحتلّ جزءاً من وادي نهر سيحون غربي مدينة (خوقند) . ومن هضبة

بامير ، وجبال آلاي تنحدر مياه كثيرة تتجه كلها نحو نهر جيحون الذي يُشكلّ الحدود الجنوبية مع أفغانستان ويدور معها .

أنشئت هذه الجمهورية في ربيع أول ١٣٤٣هـ (١ آذار ١٩٢٥) لأغراض سياسية بالدرجة الأولى ، ففي شرق هضبة بامير تسكن قبائل رعاة من القيرغيز ، وقد ضمّ إلى هذه الجمهورية لزيادة مساحتها ، بينما تسكن غرب البامير قبائل من أصل فارسي ، وكانت هذه المنطقة تتبع مديرية (باداخشان) في بلاد الأفغان التي تسكنها القبائل نفسها ، ويُشكل القسمان غرب وشرق بامير مديرية مستقلة إدارياً تعرف باسم مديرية (غورنوباداخشان) .

وتختلف معاملة السوفييت للطاجيك عن معاملتهم لبقية شعوب تركستان ، فقد اهتموا بإحياء التراث الطاجيكي القديم والثقافة القومية والاقتصاد وكانت سياستهم على أساس عنصري ، وليست على أساس طبقي وذلك تبعاً للغاية التي من أجلها أنشئت هذه الجمهورية .

فقد كان الأفغان يستطيعون أن يحُرّكوا سكان آسيا الوسطى ويُثيروهم ضدّ حكامهم الروس ، حيث توجد أعداد كبيرة منهم تُقيم في بلاد الأفغان من الأوزبك ، والتركمان ، والقيرغيز ، والطاجيك ، سكان آسيا الوسطى . وإيجاد هذه الجمهورية سلاح للامبراطورية الروسية يُدافع به عن نفسها ، فهو ليس بمستعَمر وإنما جمهورية

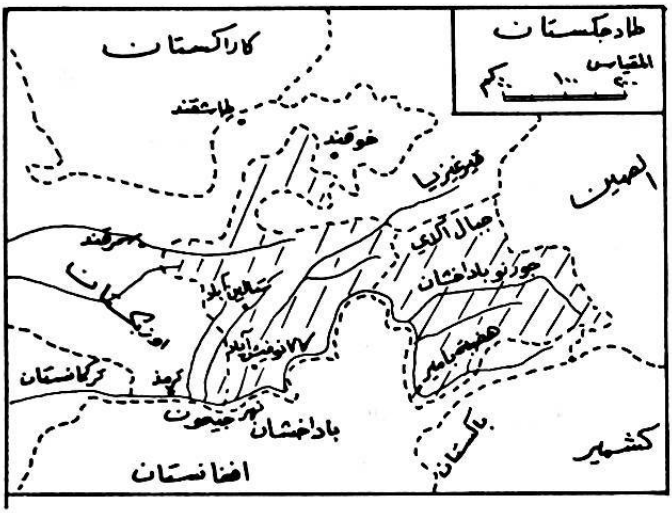

مستقلة ، كما أنها دعوة للطاجيك المُقيمين في أفغانستان للانضمام إليها وإثارتهم إذا اقتضى الأمر رغم أنهم أكثر عدداً من سكان الجمهورية هذه كاملةً . وقد كانت أراضيهم واحدة تتبع ولاية بُخارى ، وقد استطاعت قبائل الأفغان أن تنتزع بقيادة أحمد خان أراضي الطاجيك الواقعة إلى الجنوب والجنوب الغربي لنهر جيحون وهي تشمل بلْخ .

ثم قُسّمت أرض الطاجيك مرة أخرى عام ١٣١٣هـ (١٨٩٥م) حيث اتفقت كل من بريطانيا وروسيا على تخطيط الحدود وضمّت إلى

أفغانستان المناطق التي يسكنهـا الطـاجيك على الجانـب الأيسر لنهـر بانزا .

وكذلك الأمر بالنسبة لإيران فيدعي السـوفييت أن الطـاجيك هم الذين يجب أن يقودوا إيران ، فليست الثقافة الإيرانية إلا طاجيكية ، فالفردوسي طاجيكي وكذا الشاهنامة أهم كتاب أدب كتب بالفارسية ، وكذا الافتخـار بالتـاريخ الطـاجيكي فهـم الـذين وقفـوا في وجـه الاسكندر الكبير المقدوني ، وهم الـذين وقفـوا في وجـه المغـول أيام جنكيزخان ، وهم الذين أقاموا الدولة السامانية و. . .

وتجتاز السـكة الحـديدية الـوادي الشمالي من وإلى أوزبكستـان ، كذلك تسير سكة حديدية في الجنوب الغربي حيث تأتي من مدينة ترمذ إلى العاصمة ستالين آباد (دوشنبه) ومنها تصل إلى مدينة كاكانوفيش آباد .

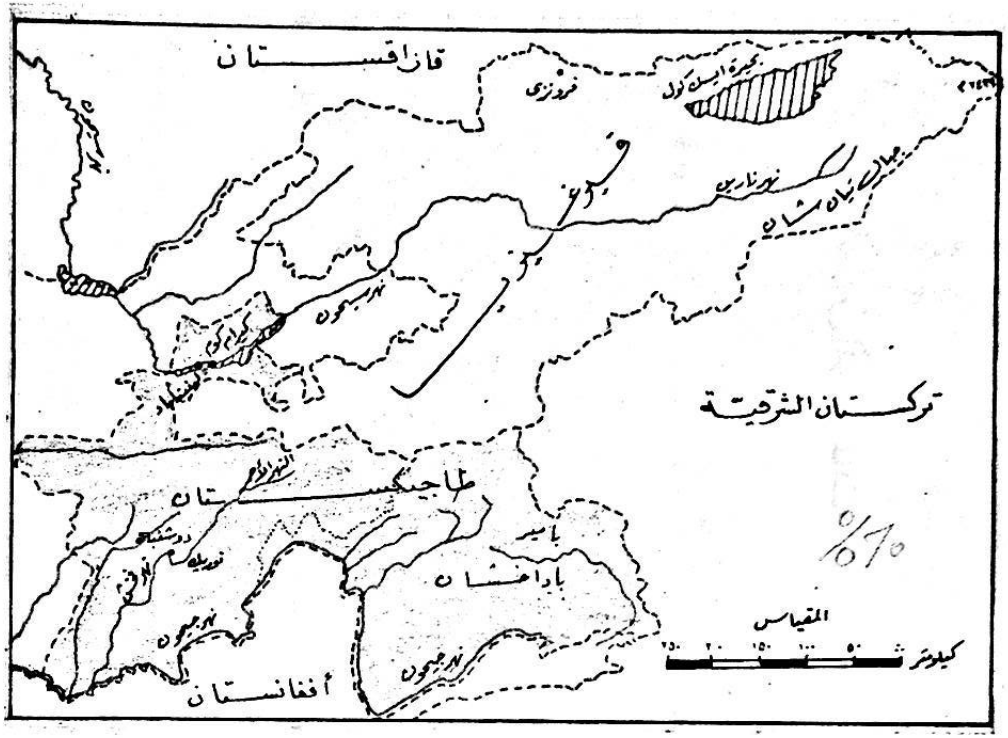
قازاقستان
فروزى
بحيرة ايسى كول
نهر نارين
جبال بابا شاه
نهر جيحون
بخارى
سمرقند
تركستان الشرقية
طاجيكستان
نهر زرافشان
دوشنبه
نهر جيحون
بامير
بادخشان
نهر جيحون
أفغانستان
المقياس
كيلومتر

فهرس الموضوعات

مقدمة الطبعة الثانية ٣
مقدمة الطبعة الأولى ٦
لمحة تاريخية ٩
النشاط البشري ٥٧
قازاقستان ٦٨
أوزبكستان ٧٩
تُركمانستان ٨٨
قيرغيزيا ٩٤
طادجكستان ٩٩
فهرس الموضوعات ١٠٤

مواطن الشعوب الإسلامية

صدر منها :

أ ـ في افريقيا

١ ـ غينيا
٢ ـ نيجيريا
٣ ـ الصومال
٤ ـ موريتانيا
٥ ـ ارترية والحبشة
٦ ـ تشاد
٧ ـ تنزانيا
٨ ـ السنغال
٩ ـ أوغندة
١٠ ـ ليبيا
١١ ـ السودان
١٢ ـ جزائر القمر
١٣ ـ المسلمون في بورندي
١٤ ـ مالي

ب ـ في آسيا

١ ـ تركستان الغربية
٢ ـ تركستان الشرقية
٣ ـ قفقاسيا
٤ ـ باكستان
٥ ـ اندونيسيا
٦ ـ اتحاد ماليزيا
٧ ـ فطاني
٨ ـ المسلمون في قبرص
٩ ـ المسلمون في الفيلبين
١٠ ـ جزر المالدين
١١ ـ افغانستان
١٢ ـ تركيا
١٣ ـ ايران
١٤ ـ شبه جزيرة العرب
١ ـ عسير
٢ ـ نجد
٣ ـ الحجاز

١٥ ـ المسلمون في الهند الصينية